علوم اسلام

العدد الاول – السنة الاولى - 1989

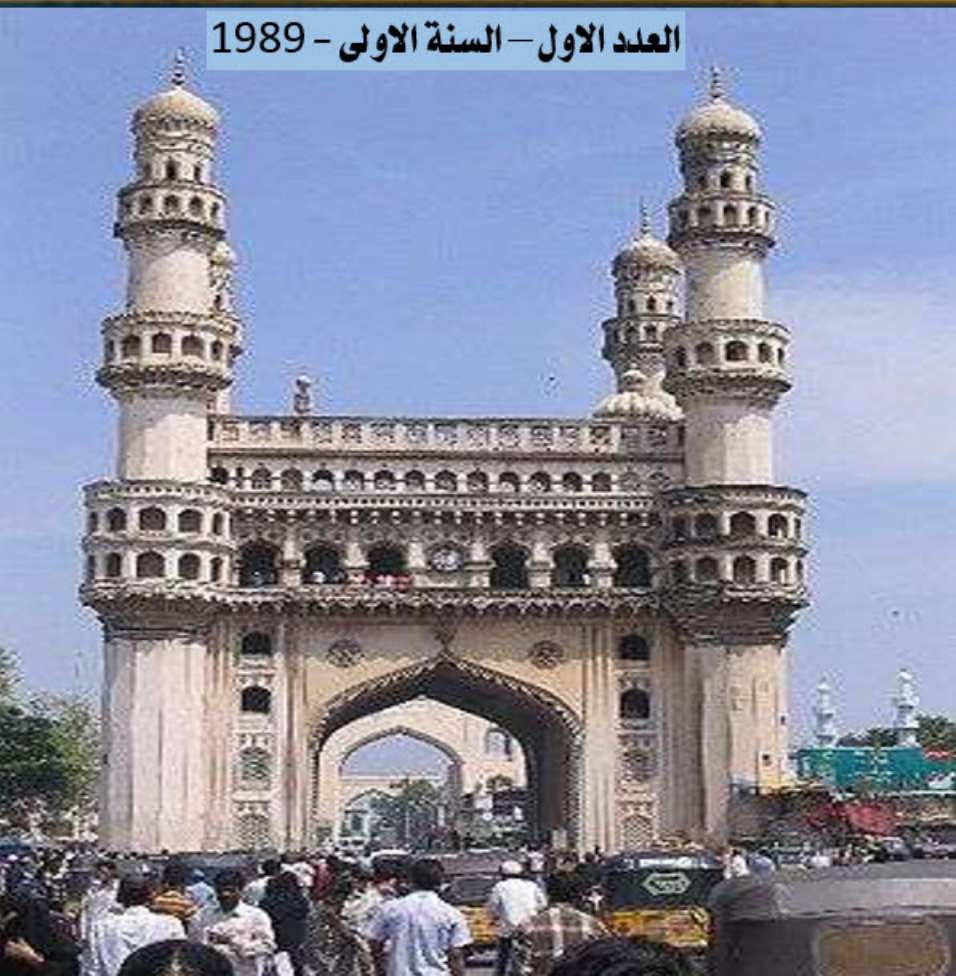

موضوع الغلاف

المملكة القطب شاهيّة في الهند

من مواد (دائرة المعارف الهندية)
تأليف
محمد سعيد الطريحي

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تمهيد :

لما كانت هذه المملكة تقوم على اجزاء واسعة من هضبة الدكن ـ جنوب الهند يحسن بنا أن نقف قليلاً عند هذه الهضبة ونستعرض بعض جغرافيتها وتأريخها .

وأصل كلمة (الدكن) من اللفظة السنسكريتية (دكشنه) وتعني الجنوب ، وما تزال إلى الآن تدل على القسم الجنوبي من الهند ، وبشكل أدق على الهضبة الكبرى المسماة بهضبة الدكن المثلثة الشكل ، جنوب منطقة السهول الشمالية (سهول الغانج ـ السند) وتتكون الحافة الغربية والجنوبية الغربية للهضبة من مرتفعات تمتد من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، وتعرف باسم مرتفعات الغات الغربية ، تاركة وراءها سهل مليبار ، أما الحافة الشرقية ، فتعرف باسم مرتفعات الغات الشرقية ؛ التي تمتد بموازاة الساحل من دلتا الغانج حتى الجنوب ، وبين هذه المرتفعات ، وبين خليج البنغال سهل كرومندل ، وهناك مجموعة سلاسل جبلية في شمال الهضبة ، وهي سلسلة جبال (ساتبورا) التي تعتبر الحدود الطبيعية بين شمال الهند وجنوبها ، ويتراوح وسطي ارتفاع الهضبة بين ٦٠٠ ـ ١٣٠٠ م فوق سطح البحر ، وتخترق الهضبة الأنهار الكثيرة ، منها ما يجري نحو الغرب ، مثل نهر ناربادا ، ومنها ما يجري نحو الشرق مثل نهر كريشنا ، وتنعت البلاد التي إلى الجنوب من هذا النهر بشبه الجزيرة .

وتاريخياً فإنَّ الجزء الأكبر من الدكن كان يخضع فيما قبل التأريخ لسيطرة ملك اتخذ **ڤدربهه** vidrabha حاضرة له ، وربما تكون (بِدَر) الحديثة ، وكان يحكم البلاد في العصور

التأريخية موريا الهند الشمالية ، وبعد ضعف سلطنتهم حكمت الدكن مجموعة من الأسر المحلية هي :

الجندرهره ، والساكا ، والپهلفا ، واليفنا ، والراشتراكوتا ، والفاكاتكا ، والكالوكيا ، واليادڤا ، والكاكتيا .

وفي عام ١٢٩٤ م قام علاء الدين ابن أخي فيروز الخلجي الدهلوي وزوج ابنته بغزو مملكة دفاگري ، واجبر الراما چندرا علىٰ اداء الجزية لدهلي ، وكانت المملكتان الجنوبيتان الرئيسيتان في ذلك العهد هما :

مملكة دفاگري أو مهاراشترا ، وتحكمها أسرة اليادڤا ، ومملكة تلنكانه وهذه الأخيرة كانت من أعظم ممالك الدكن ، عاصمتها (ورنگل) وتحكمها أسرة كاكتيا ، وتحدها(كرناتك) من الشرق و (پونا) من الغرب ، و (ميسور) من الجنوب ، و (ناكبور) و (خاندیس) من الشمال .

وبعد ربع قرن منّ غزوة علاء الدين الخلجي اضمحلّت المملكة الأولىٰ سنة ١٣١٨ م ، وضمت أراضيها إلىٰ دهلي ، أما في الجنوب فقد اتسعت الفتوحات الإسلامية اتساعاً عظيماً بقيادة محمد بن تغلق ، وفي عام ١٣٤٧ م انتفض عليه قواده ، وتمكنوا بقيادة حسن خان الذي أسس السلطنة البهمنية من توطيد استقلال الدكن .

ثم خضعت مملكة تلنگانه إلىٰ حكم أحمد الأول أحد أفراد هذه الأسرة عام ١٤٢٤ ـ١٤٢٥ ، وفي عام ـ ١٤٩٠ أدىٰ ضعف سلالةبهمن شاه إلىٰ تفكك عرىٰ مملكتهم ، فانقسمت الدكن فيما بين عامي ١٤٩٠ و١٥٢٥ إلىٰ عدة ممالك مستقلة هي :

١ ـ المملكة العماد شاهية في برار (١٤٩٠ ـ١٥٢٧ م) .

٢ ـ المملكة النظام شاهية في أحمد نگر (١٤٩٠ ـ١٦٦٣ م) .

٣ ـ المملكة العادل شاهية في بيجابور (١٤٩٠ ـ ١٦٨٦ م) .

٤ ـ المملكة البريد شاهية في بدر (١٤٩٢ ـ ١٦٥٩ م) .

٥ ـ المملكة القطب شاهية في گولگنده (١٥١٨ ـ ١٦٨٧ م) .

السلالة القطب شاهية

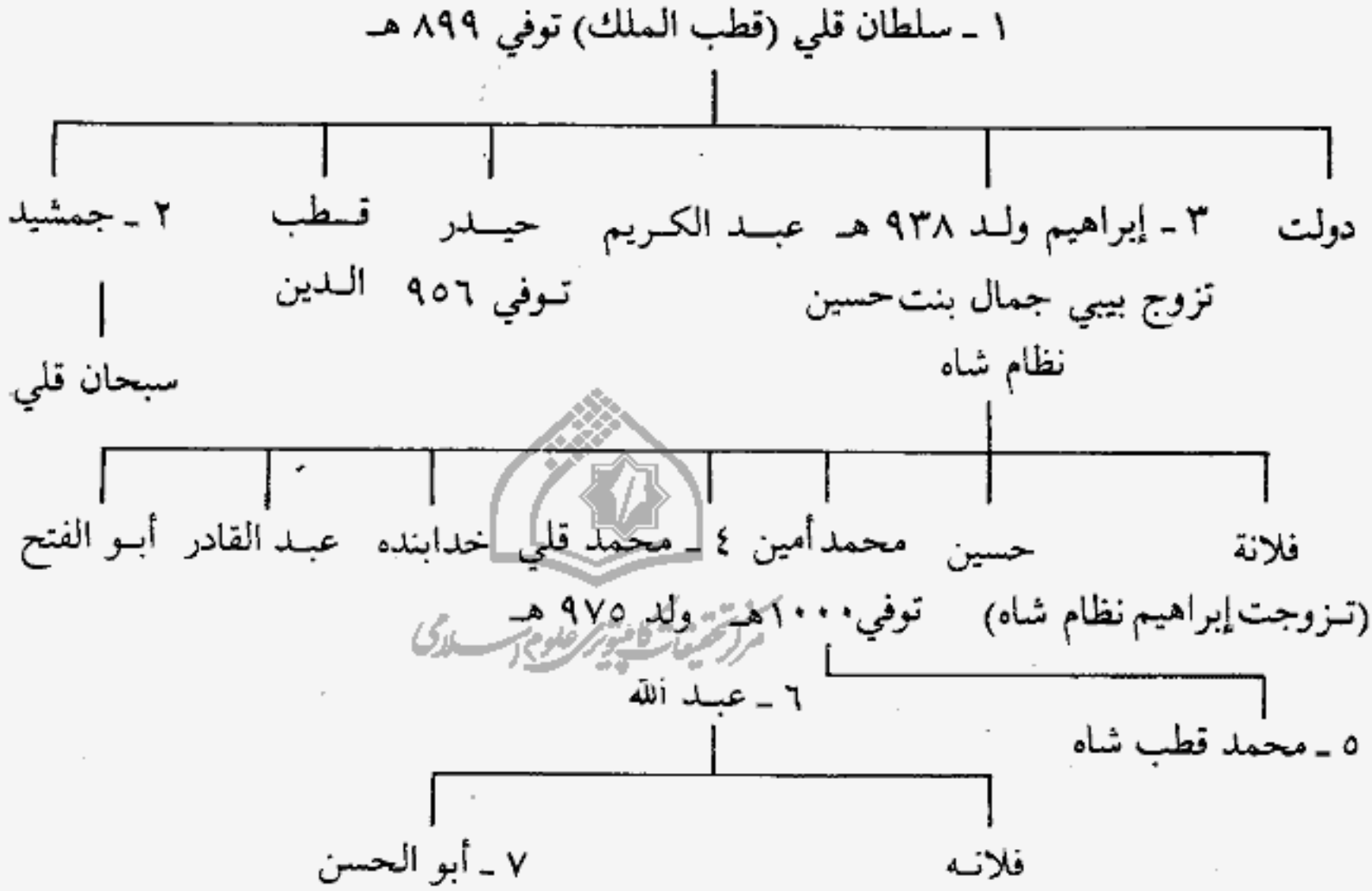

تزوجت محمد أكبر بن اورنك زيب) .

١ ـ سلطان قلي قطب شاه ـ الأول (٨٦٠ هـ/١٤٥٤ م ـ ٩٥٠ هـ /١٥٤٣ م)

٢ ـ جمشيد بن سلطان قطب شاه ـ الثاني (توفي ٩٥٧ هـ /١٥٥٠ م) .

٣ ـ إبراهيم بن سلطان قلي قطب شاه ـ الثالث (توفي ٩٨٩ هـ /١٥٨٠ م) .

٤ ـ محمد قلي شاه ـ الرابع (توفي ١٠٢١ هـ /١٦١٢ م) .

٥ ـ محمد قطب شاه ـ الخامس (توفي ١٠٣٥ هـ /١٦٢٦ م) .

٦ ـ عبد الله قطب شاه ـ السادس (توفي ١٠٨٣ هـ /١٦٧٢ م) .

٧ ـ أبو الحسن تانا شاه ـ السابع (توفي ١٠٩٨ هـ /١٦٨٦ م) .

(١)

(٢)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٣)

(٤)

صور لبعض سلاطين المملكة القطب شاهية :

١ ـ السلطان قلي قطب شاه (مؤسس الدولة) (٨٦٠ ـ ٩٥٠ هـ) .

٢ ـ السلطان جمشيد بن سلطان قلي (ت ٩٥٧ هـ) .

٣ ـ السلطان إبراهيم بن سلطان قلي (ت ٩٨٩) .

٤ ـ السلطان عبد الله قطب شاه (ت ١٠٨٣ هـ) .

(١)

السلطان قلي قطب شاه ـ الأول

هو سلطان قلي بن اميرزاده أويس قلي بن اميرزاده پيرقلي بن أمير زاده الونـد بن أمير زاده اسكنـدر بن الأمير قـرا يوسف بن المعـروف أمير قـرا محمد ـ من أصـل تـركي ـ وهـو مؤسس المملكة القطب شاهية ، وأول ملوكها .

ولـد في قـريـة (سعـد آبـاد) التـابعـة لمـدينـة همـدان غـرب إيـران سنـة (٨٦٠ هـ /١٤٥٤ م) ، ونزح إلى الهند أيام تسلّط أمير يعقوب آق قوينلو ، وكان قد تربص قتله ، ثم رافق عمـه الله قلي إلىٰ مـدينـة (پـدر) وتسمى أيضـاً (محمـد آبـاد) وكـانت من المـدن المعمـورة في الدكن آنـذاك ، وذلك سنـة (٨٨٠ هـ /١٤٧٥ م) ، واشتغـل فيهـا مـع عمـه المذكور في بيع وشراء الخيول العربية الأصيلة التي كانت تجلب من العراق ، وتعرّف علىٰ السلطان محمود شاه البهمني ، فاعجبت الملك مهارته ومواهبه ، فجعله من امرائـه ، ولقّبه بقطب الملك .

وفي سنـة (٩٢٤ هـ /١٥١٨ م) عيّنه الملك البهمني قـائداً عـاماً للجيش في منـطقـة (ملك تلنك) أو (تلنگانه) ، وبعد وفاة الملك المذكور استقل بحكم منـطقته ، وسيـطر علىٰ أراض إضافية كثيرة امتدت إلىٰ كرناتك ، وشملت كل من :

« راج كنڈه ، ديوكنڈه ، پانگل ، كهن پور ، كومل كنڈه ، نل كنڈه » .

وفرض الخراج علىٰ كل هذه المواضع :

« راج مندري ، كهمم ميٹه ، ويلورا كونڈا ، ويركوهير ، كونڈه ملي ، مچلي پٹن » .

بـالإضافـة إلىٰ سيطرتـه علىٰ سبعين قلعة ، ثم جعـل «گولگنـده » دار ملكه ، ومـركز خـلافته ، وبنىٰ حـول القلعة السـور العظيم الفخم ، واضـاف للقلعـة مسجـداً ، وحسينيـة باسم « بادشاهي عاشـور خانـه » ، وأسس تالاب ورك، واشتبك مع ملك تلنگـانه المسمىٰ (كجتبي) في حروب عديدة كان النصر فيها حليفه .

وإلىٰ هذا السلطان يُعزىٰ نشـر المذهب الإمـامي الجعفري في الـدكن وضواحيهـا ، وكان معظماً للشاه اسماعيل الصفوي أليفاً له ، وسوّل الشيـطان لولـده الثالث جمشيـد قلي الذي كان يبلغ من العمر ٦٠ سنة أن يقتـل والده السلطان ، وبعث غـلامه التـركي (محمود

الهمـداني) فقتل السلطان قلي قـطب شاه ، وكـان في صلاة العصـر ؛ وبحـال السجـدة ؛ وذلك في جمادى الثانية سنة (٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م)، وكان يناهـز التسعين سنة ومـدة حكمه ستون سنة قضىٰ منها ستة عشر سنة في نيابة السلطان محمـود البهمني ، ودفن السلطان في مقبرة القطب شاهية وهناك علىٰ الدكـة العريضـة الخارجيـة واحد وعشـرون قبراً لأفـراد من العائلة القطب شاهية ، وارخوا وفاته بقولهم (فياض هند) وقال شاعر في رثائه :

CHARMINAR — HYDERABAD

چار منار من أعظم آثار المملكة القطب شاهية .

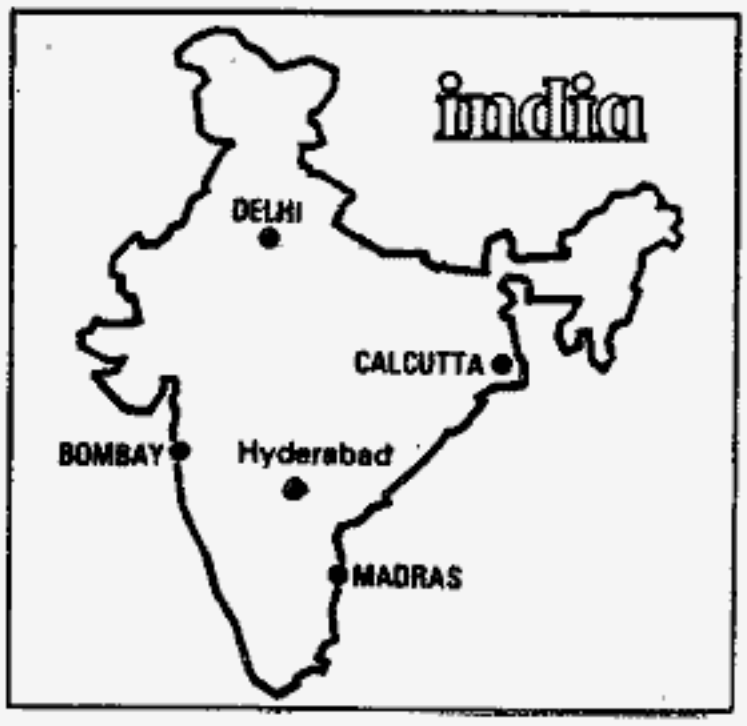

موقع حيدر آباد من الهند

مقابر الملوك القطب شاهية

قطب شاه جهان جو از تقدير — از جهان جست سوئي جنت را
گو أبو الفضل سال وصلش نيز — معدن جو وقطب شاهندرا

(٢)

السلطان جمشيد قطب شاه بن سلطان قطب شاه ـ الثاني

جلس مكان أبيه المسمىٰ « محمود الهمداني» ، وسرعان ما أطاعه الامراء واركان المملكة ، غير أن الخوف كان يتربص به من اخوته ، فعمد إلىٰ أخيه قطب الدين أحمد وأدخل السفود المسمومة في عينيه ، وخرج عليه أخوه إبراهيم فطلبه جمشيد فالتجأ إبراهيم إلىٰ مملكة البريد شاهية ، واستغل ملكها ذلك فتوجه بجيش جرار إلىٰ قلعة كولكنده وحاصرها ، فتدخل برهان نظام شاه ، ورفع الحصار عنه ، ثم توطدت أمور المملكة ، وضمّ إليها أمكنة هامة مثل (نارائن كهيڑا) و (حسن آباد) .

وبنىٰ قلعة (كولاس) غير ان انشغاله باللهو واللعب وعدم عنايته بصحته سبب له السرطان فمات سنة (٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م) ومدة ملكه سبع سنين ، ودفن عند قبر والده ، وكان ممن يتعاطىٰ الأدب والشعر ، ومن نظمه :

اي بتو ختم ملك زيبائي — كار عشق از بافت بالائي
كا كل وجين زلف وخال لبت — هريكى در كمال رعنائي
در ره عشق هركه با بنهاد — آخر او سركشد بر سوائي

شده شر منده از رخت خورشيد ميرود زين سپهر بينائي

(٣)

إبراهيم بن سلطان قلي قطب شاه ـ الثالث

وبعد وفاة جمشيد قلي ، عمد بعض أفراد الحاشية إلىٰ تنصيب سبحان قلي بن جمشيد قلي ، وكان طفلاً يبلغ من العمر سبع سنين ، وفي نفس الوقت عمل أحد قواد الجيش المسمىٰ (جگديو راو) علىٰ تنصيب الأخ الخامس للسلطان السابق واسمه (دولت قلي) ملكاً في قلعة (بهو نكير)، وحسبما تذكر الروايات فان (دولت قلي) هذا كان مصاباً بلوثة عقلية ، ربما أصيب بها جراء تصرفات شقيقه جمشيد الذي بخسه حقّه ، وسجنه طيلة فترة حكمه ، وعلىٰ كل حال لم يكن لـ (دولت قلي) من أمر التنصيب أيّ نصيب ، لأن الأمور كلها كانت تحت تصرف الرجل القوي (جگديو راو) ، وجرت بعد ذلك منازعات بين طرفي المملكة ، أولهما أفراد الحاشية وعلىٰ رأسهم (عين الملك) والذين نصبوا الطفل (سبحان قلي) ملكاً ، وثانيهما (جگديو راو) الذي نصب (دولت قلي) ملكاً ، وقد آلت هذه النزاعات إلىٰ سيطرة الفئة الأولىٰ التي استمرت تحكم باسم (سبحان قلي)مدة تزيد علىٰ ستة أشهر ، وفي عام ٩٥٧ هـ أي نفس العام الذي توفي فيه جمشيد قلي قام إبراهيم قلي قطب شاه بانقلاب علىٰ هذه الفئة ، وانتصر عليها واعلن موت ابن أخيه ونصب نفسه ملكاً ، وعمد إلىٰ إطلاق سراح (جگديو راو) الذي كان مرمياً في السجن جرّاء تآمره السابق ، وقرّبه ـ لأمرٍ كان في نفسه ـ وصيره وزيراً له ، ولم تطل أيام وزارته ، فقد اتهمه بالخيانة وابعده ونصّب مكانه (مصطفىٰ خان مير جمله) وهذا الأخير هو الذي أشار عليه بإضافة الأبراج القوية المستحكمة إلىٰ قلعة (گولگنده) وعلىٰ عهده عمّرت المحلات والبيوت والأسواق عند السور الخارجي للقلعة ، واستوزر بعده نظام شاه الاصفهاني .

وكان هذا السلطان محبوباً لدىٰ الرعيّة ، عادلاً ، مفضالاً ، عرف بكياسته وعدله بين الناس ، وقصده أهل الفضل والكمال من بلاد الله الواسعة ، وله ولع عجيب بالعمران وتطوير الزراعة في البلاد ، ومرّ قبل قليل أنه أضاف إلىٰ قلعة كولكنده بعض المنشآت ، وينسب له بناء الكثير من المدارس والمساجد والجسور ، ومن أعماله العمرانية التي اشتهر بها ، ويذكرها فيشكرها أبناء حيدر آباد ـ إلىٰ الآن ـ بحيرة كبيرة واسمها (تالاب حسين ساگر) وقد رأيتها واطلعت علىٰ تصميمها ، وروعة المكان من حولها ، ومما يدلل علىٰ تكريم هذا السلطان لعلماء عصره أنه سمّىٰ هذه البحيرة باسم أحد المجتهدين في عصره

العالم الإمامي (السيد حسين شاه ولي) ، وكان صهراً للسلطان وهو الذي أشار عليه بتعمير البحيرة وذلك سنة (٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م) ، وصرف من أجل ذلك (ثلاثة لكوك) أي ثلاثمائة ألف روبية هندية ، وبلغ طول البحيرة ميل ونصف أما مساحتها الكلية فقد بلغت ثمانية أميال ، وتقع بين حيدر آباد واسكندر آباد ، ومنها تزود المدينة بالماء للشرب والزراعة اذ أننا رأينا النهر المسمىٰ (موسىٰ) ، وهو يخترق مدينة حيدر آباد جافاً لا ماء فيه ، بل عمد بعض الفقراء إلىٰ تشييد مساكنهم الصغيرة فيه ، فلولا بحيرة (حسين ساگر) لهلكوا من العطش .

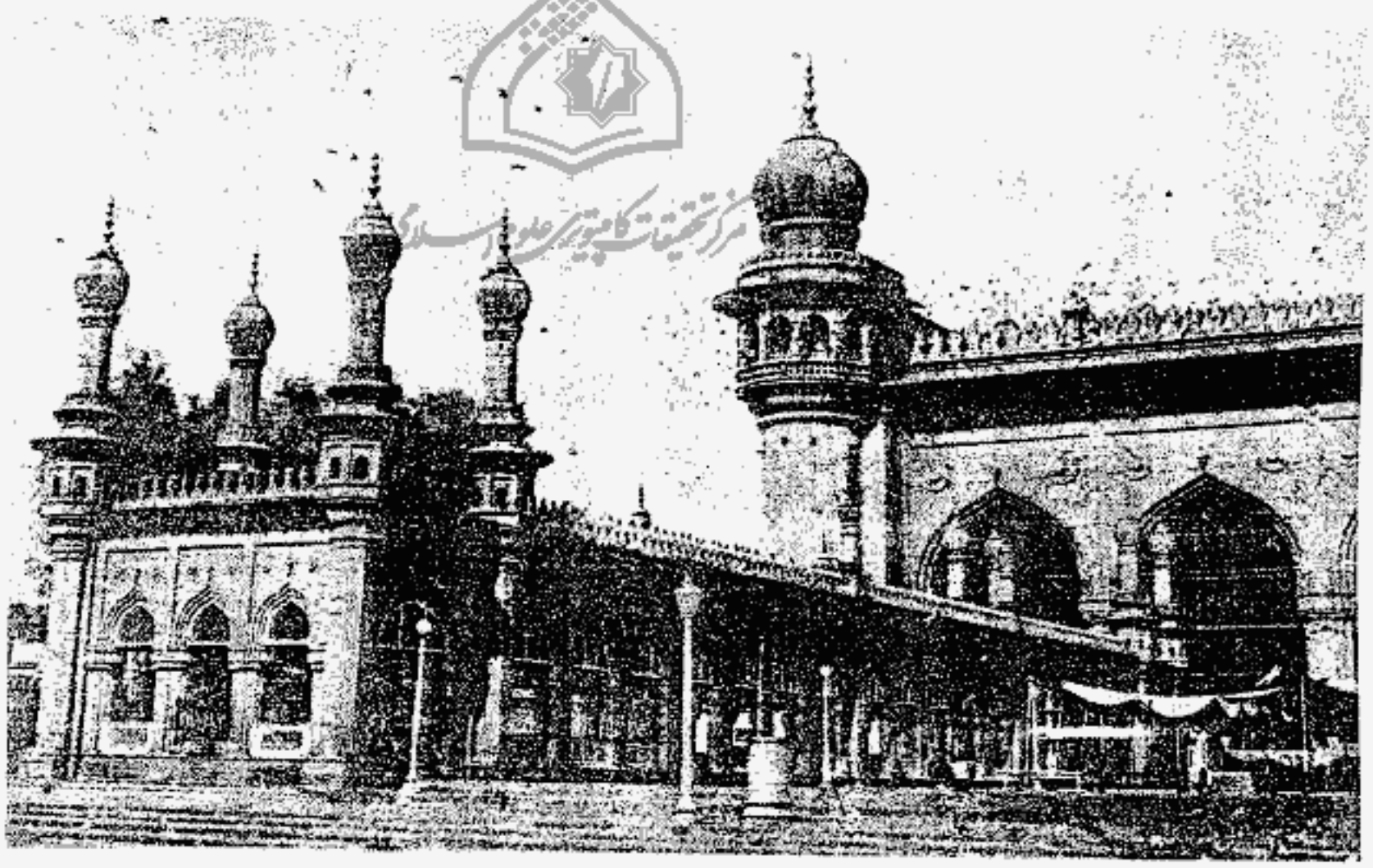

MECCA MASJID — HYDERABAD

صورة تمثل أحد أركان مسجد مكة ـ حيدر آباد

وعلىٰ هذه البحيرة جسر طويل ما زال إلىٰ الآن بحالة جيدة ، وتروىٰ هنا قصة طريفة لا نعرف مدىٰ صحتها ، ولكن اعتاد أبناء المنطقة روايتها علىٰ مسامع السياح ، ذلك أن ابن السلطان المسمىٰ (محمد قلي قطب شاه) كان عاشقاً لفتاة تسكن علىٰ الصوب الثاني من البحيرة في موضع يُدعىٰ (چچلم جهان) ولولعه الشديد بهذه الفتاة فقد كان هذا العاشق الولهان يعبر البحيرة العميقة يومياً بواسطة الحصان ، ولخوف الوالد علىٰ حياة ولده

فقد أمر السلطان بتشييد هذا الجسر ، وانفق (هنين) من الأموال ، و (الهن) عملة هندية يبلغ مقدارها ثلاثة لكوك ونصف ، أي أن مقدارهما بلغ سبعمائة ألف روبية هندية في ذلك الوقت .

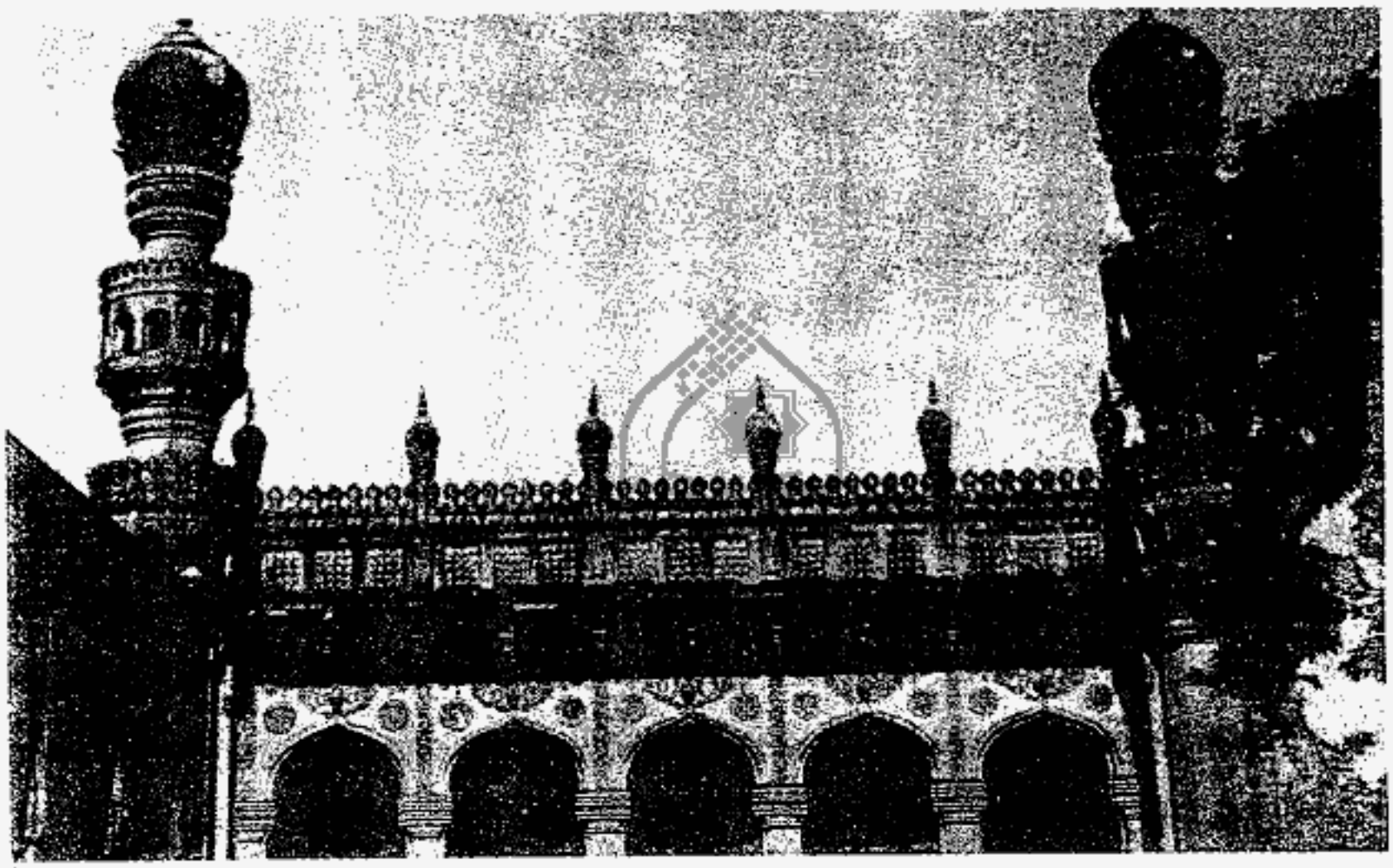

MOSQ OF HAYAT BAKSHI BEGUM NEAR GOLCONDA FORT, HYDERABAD

مسجد حياة بخش بيگم قرب قلعة كولكنده

وللجسر ٢٣ برجاً طول كل برج ٢٠٠ ياردة ، وعرضه ١١ ياردة والارتفاع ١٥ ياردة ، وعُرف الجسر أيضاً باسم « براني بُل » وفرغ من عمله بعد عام واحد من العمل المتواصل ، وأرّخ بناء الجسر بلفظتي « صراط المستقيم » وسُرّ الملك من مبتدع هذا التأريخ الأبجدي ، فأهداه خمسمائة أشرفية ـ والأشرفية عملة هندية كانت متداولة في عصر القطب شاهية ـ .

توفي هذا السلطان سنة (٩٨٩ هـ/ ١٥٨٠ م) عن ٥١ سنة بعد أن قضى في السلطنة ٣٠ عاماً وتسعة أشهر ، ورفع على قبره قبة كبيرة بلغت عشرة آلاف شبر مربع ، وتقع في الطرف الجنوبي الشرقي للمقبرة القطب شاهية ، وأرخ وفاته بعض الشعراء بقوله «فياض زمان» وكتب على قبره أن وفاته سنة ٩٨٨ وهو وهم مردّه هذا التأريخ الشعري ، والصحيح من أمر وفاته ما ذكرناه آنفاً .

(٤)

محمد قلي قطب شاه ـ الرابع

هو ابن السلطان السابق ، وبعد توليته استوزر شقيقه الميرزا محمد أمين ، وقد فاقت أعمال هذا السلطان أعمال والده في مجال العمارة ، ويكفيه فخراً أنه بنىٰ مدينة تعتبر ـ حتىٰ الآن ـ من أكبر مدائن الهند وأشهرها وهي مدينة (حيدر آباد) وكان قد سماها أول الأمر (بهاك نكر) علىٰ اسم زوجته ، ثم غير الاسم إلىٰ حيدر آباد أي مدينة حيدر أو عليّ ، تيمّناً باسم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وكان ذلك سنة (٩٩٩ هـ /١٥٩٠ م) وبنىٰ بها جامعة كبرىٰ ، ومارستاناً كبيراً ، وقصوراً شامخة وحدائق مونقة ، وجعلها قصبة ولايته سنة (١٠٠٠ هـ /١٥٩١ م) وظل هذا شأنها حتىٰ نهاية أيام المملكة القطب شاهية[1] .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

Char Minar

ومن عماراته الرائعة في حيدر آباد :

(چار منار) أي المنارات الأربع ، وهو بناء تأريخي شامخ أسس ليكون جامعة عربية إسلامية عاليه ، وهو مرتفع البناء جداً ، ويقع في وسط المدينة ، ويعد اليوم من أشهر الآثار الإسلامية في الهند ، وفي أعلاه مسجد عجيب العمارة ، جميل الهيئة ، بديع الزخرفة ، آية في الفن والإبداع ، وصرف الملك محمد قلي في سبيل تشييد هذا البناء (سبعة لكوك) أي ما يوازي سبعمائة ألف روبية هندية ، وارخ بعض الشعراء الانتهاء من عمارته بقوله : «يا حافظ» الموافق لعام (١٠٠٠ هـ /١٥٩١ م) .

---

(١) اصبحت بعد ذلك قصبة صوبة (أي ولاية) في الامبراطورية المغولية ، وفي عام ١٧٢٤ م ، استولىٰ عليها جين قليج خان (آصاف جاه ، نظام الملك) وأقام نفسه حاكماً عليها من قبل الدكن ثم استقل بها عن الحكم المغولي ، واستمر حكمها بعد ذلك تتناقله الأُسر المحلية وآل امرها أخيراً إلىٰ الاسرة النظامية التي توطدت سلطنتها في البلاد بتدخل الانكليز إلىٰ جانبها ، وبعد استقلال الباكستان عن الهند خضعت للحكومة الهندية ، وهي اليوم عاصمة مقاطعةANDHRA PRADESH .

ويجب التمييز هنا عن ميدينة (حيدر آباد ـ السند) التي تقع في الباكستان ، والتي شيدها غلام شاه كلهوره في منتصف القرن الثامن عشر ، وحكمها البلوشيون فالانكليز بعد معركة مياني سنة ١٨٤٣ م ، واتخذ الانكليز (كراجي Karachi)عاصمة للسند بدلاً منها ففقدت حيدر آباد ـ السند ، أهميتها السياسية .

ومن أعماله العمرانية الأخرىٰ :

(بـاد شاهي عـاشور خـانه) الجسينية الملكية ، أسسهـا سنـة (١٠٠٣ هـ /١٥٩٤ م) لإقامة المآتم والمجالس الحسينية ، وقراءة وقائع معركة الطف الداميـة ، ومن أعمالـه أيضاً هذه المباني المعروفة إلىٰ الآن في المدينة القديمة :

« نيني باغ ـ رنگين محل ـ دار محل ـ محمدي محل ـ جندن محـل ـ حسيني محل ـ جعفري محل ـ چار كمان ـ گلزار منـار ـ گلزار حوض ـ جـامع مسجـد ـ موٹي مسجـد ـ دار الشفاء » .

والمحل الأخير ـ دار الشفاء ـ من الأمكنة المعروفة الآن في حيـدر آباد ، وفيهـا بعض المعـالم التأريخيـة ، وهي محلة فخمة لاهلهـا مشاركـة مشهودة في المنـاسبات الـدينية ، وخاصة أيام عاشوراء من كل عام .

ولهذا السلطان ولع في نظم الشعر ، ومن نظمه قوله :

بـا شمع بكـو كرمى ديـوانه خـود را كاتش زند از رشك تويروانه خـود را
با باد تو عاشق نكشد منت خورشيد بستيم در روزنـــه خـــانـــه خـــود را
گر جمله جهان پر شود از كوهر يكتا خواهيم همان گوهر يگدانه خـود را

بقي أن نشير إلىٰ الروابط الوثيقة التي كانت تربط هذا السلطان بالشاه عباس الصفوي الذي بعث إليه هدايا جميلة منها التاج المرصع بالجواهر ، وبقيت علاقته بالصفـويين جيدة حتىٰ وفاته سنة (١٠٢١ هـ /١٦١٢ م) عن ٤٩ سنة ، ومدة ملكه ٣١ سنـة وثمانيـة أشهر ، وعُـرف من أولاده ابنته الأميـرة (حياة بخش بيگم) التي تزوجت ابن عمها السلطان محمـد قطب شاه ابن الميرزا محمد أمين ، ولها مسجد شهير يُعرف باسمها قرب (كولكَنده) ، وقبر هذا السلطان في المقبرة القطب شاهية مشيد معمر عليه تأريخ وفاته بـابجد « قـطب فضل » و « فضل عام » الموافق لسنة ١٠٢٠ هـ ، والصحيح ١٠٢١ هـ .

وعلىٰ عهد هذا السلطان جاء العالم اللبنـاني العاملي جمـال الدين بن علي الحسيني الجبعي ، إلىٰ حيدر آباد ، فاكرمه سلطانها ، وكان مرجع فضلائها حتىٰ توفي في حيـدر آباد سنة (١٠٠٨ هـ /١٦٨٧ م) .

(٥)

السلطان محمد قطب شاه ـ الخامس

بعد وفاة محمـد قلي قطب شـاه تولىٰ الملك بعـده صهره وابن عمـه السلطان محمد قطب شاه، وذلك سنة (١٠٢١ هـ/ ١٦١٢ م) وكان من أهل البر والصلاح والتقـوى، محباً للعمران ، ومن آثاره : بناء مسجد مكة الكبير (مكة مسجد) في وسط حيدر آباد أسسـه سنة ١٠٢٣ هـ ، ولما أراد وضع حجر أساسه جمع العلماء والصلحاء وآلىٰ عليهم أن يضـع أول حجر منه مَن لم تفتـه صلاة التهجـد مدّة عمـره ، فلم يتقدم منهم أحـد ، فتقدم بنفسـه ، ووضـع الحجر الأول منـه ، وأرّخ هذا الحـدث يومهـا بعبارة « البيت العتيق » التي يـطابق حسابها الأبجدي تأريخ البدء بتأسيس المسجد ، واوعز الملك لمهندسين مسلمين هما :

(زنگياد) و (فضل الله) بالاشراف علىٰ البنـاء ، ولم يتم بناء المسجـد علىٰ عهده بـل امتد ذلك إلىٰ عهد خلفائه : عبد الله قطب شاه ، وأبو الحسن تانا شاه ، وثم زمن عـالمگير شاه الملك المغولي سنة (١١٠٤ هـ /١٦٩٣ م) أي بعد سقـوط المملكة القـطب شاهيـة ، وهكذا فقد استغـرق بناء (مكـة مسجد) مـا يزيـد علىٰ ثمانين سنـة ـ والفضل للمتقـدم كما يقولون .

وكنت قد زرت هذا المسجد عدة مرّات وهو يجاور البناء المعروف (چار منـار) بينهما مسافة قليلة ، والواقع أن عمارته من العمـارات الإسلاميـة البارزة في الهنـد بل تحفـة رائعة في التصميم وحسن التناسق بين عناصره الغنية ، وكان يشتغل في بنائه ـ علىٰ ما قيل ـ يـومياً خمسة آلاف عامل ، واستعمل المرمر في بناء هذا المسجـد وخاصـة للاعمـدة الكثيرة التي تحلق في المسجـد إلىٰ طول شـاهق ، وكذلـك للتخوت المخصصـة لاستـراحـة المصلين والزائرين ، وفي الطرف الشرقي هناك حوض للماء مساحته ١٢٠ متراً مربعاً ، وفي الـطرف الجنوبي تقع مقبرة (آصف جاهي) .

ومن أعمال هذا السلطان الأخرىٰ : تعميره قلعة في (سلطان نگر) شرقي حيدر آباد ، أنفق عليها تسعة لكوك (ما يعادل ٩٠٠ ألف روبية هندية) .

كما شيَّد القبة المعروفة باسم (گنبدان شاهي) وتـوفي قبل إكمـال تشييدهـا ، اذ وافته المنية في حيدر آباد سنة (١٠٣٥ هـ /١٦٢٦ م) ودفن في مقبـرة الأسرة القـطب شاهيـة في الجانب الغربي من (كـولگنده) ، وبجـانب قبره ، قبـر لابن عمه (شـاه آخندكـار) وكان من

الأتقياء الورعين الصالحين ، قربه السلطان محمد قطب شاه واشركه في إدارة شؤون المملكة وخصص له راتباً سنوياً قدره سبعة آلاف هن (والهن عملة هندية تساوي ثلاث روبيات ونصف) وكان ينفقها على إقامة المآتم الحسينية وفي وجوه الخير ، توفي (شاه آخندكار) سنة (١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م) .

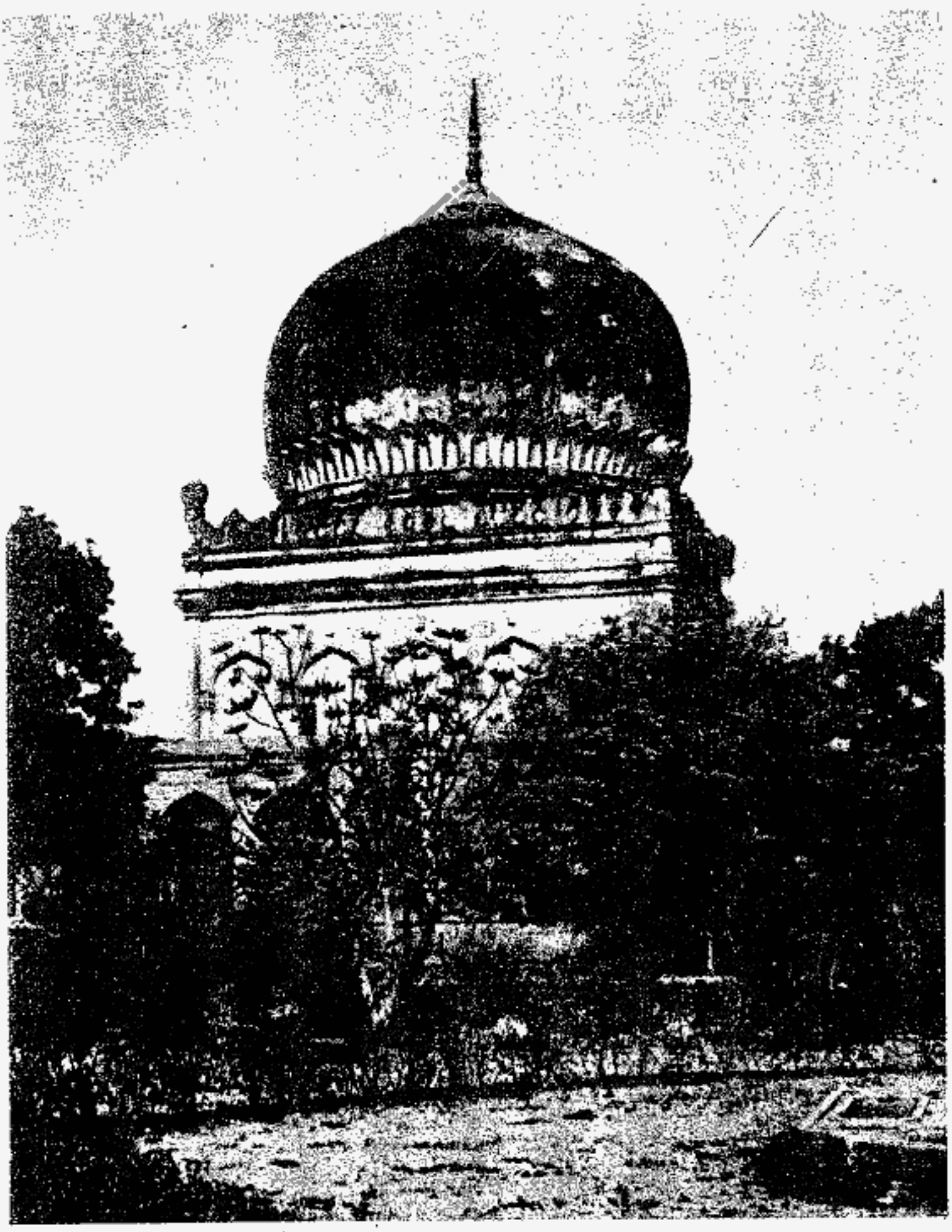

SULTAN MOHAMED TOMB.

مقبرة السلطان محمد قطب شاه

وفي أيام السلطان محمد قصد الهند العلامة اللبناني محمد بن علي بن خاتون العاملي فقربه واستوزره[١] ، بقي أن نذكر من آثار هذا السلطان ؛ ندوته الأدبية التي كان يحضرها مجموعة من العلماء والأدباء من كل مكان ، مما يفسر ميله للأدب وحبه للعلم والفضيلة ، وينسب له بعض المنظوم ، ومنه قوله :

يا رب بجان فشاني سلطان كربلا	يا رب بشاه بي سروسامان كربلا
يا رب باضطراب دل شاه اولياء	از درد واضطراب عزيزان كربلا
يا رب با شك ديده خونبار فاطمه	در ماتم شهيد بيابان كربلا
يا رب بحق زين عبادان شه اسير	صاحب عزا وواله وحيران كربلا
كر لطف جرم حمله محبان شان ببخش	روزى كه هست برسش طوفان كربلا

(٦)

السلطان عبد الله قطب شاه ـ السادس

ولي الملك سنة (١٠٣٥ هـ /١٢٢٦ م) وعمره حوالي عشر سنوات ورعته أمّه الأميرة (حياة بيگم) وكان لها الأثر الكبير في تثبيت سلطنته ،وكان هو الآخر محتاج لرعايتها في هذا السن المبكر ، وربما قادته فتوته إلىٰ حب المغامرة ، اذ تعود الخروج إلىٰ الغابة والابتعاد كثيراً عن خدمه وحشمه وهنا تحكىٰ قصة طريفة من قصص صباه اذ ابتعد يوماً إلىٰ وسط الغابة وضاع خبره ، فنذرت أمه إن عاد ولدها سالماً أن تنفق السلسلة الذهبية المحيطة بالفيل الذي يحمله ، في سبيل الله ، وبعد أيام عاد السلطان ووفت امه بنذرها .

واستمرت رعاية امه له وتدبير المملكة بمعاونة وزيره (منصور خان الحبشي) ومساعدة بعض الشخصيات في عصره مثل (ملك الماس) و (ملك يوسف) و (قاسم بيك) ، ولما مات وزيره (منصور) ، كان ساعد الملك قد اشتد ، فاستوزر (محمد سعيد مير جمله) وكان شخصية ممتازة في التدبير وإدارة دفّة الحكم ، واحتل منزلة كبيرة لدىٰ الملك فحسدته الحاشية ودبّرت وشاية ضده فافسدوا علاقته بالملك ، وطرده الملك ، وعين مكانه (نيك نام خان) ثم سجن (محمد سعيد مير جمله) مع امرأته وولده (محمد أمين) ، غير انه فرّ من

---

(١) وكان من المجتهدين ، قصد المشهد الرضوي بإيران ومنها توجه إلىٰ حيدر آباد الدكن وبقي بها حتىٰ وفاته ، ولد عدة كتب ورسائل . راجع أعيان الشيعة ٤٦/١١٣ ـ ١١٧ والطبعة الجديدة ١٠/١٠ .

السجن لوحده والتحق بالأمير المغولي اورنگ زيب في دهلي واهداه مجموعة من الجواهر النفيسة التي كان قد حصل عليها من (كوه نور هير)[١] .

واستطاع (مير جمله) بما اوتي من خبرة وحنكة سياسية أن يغري اورنگ زيب بالاستيلاء علىٰ (المملكة القطب شاهية) ، وهو بهذا أول من جلب أنظار المغول لاحتلالها والقضاء عليها ، فاقنع اورنگ زيب بالأمر ، وفاتح اورنك زيب والده السلطان (شاه جهان) فتريث أولاً ثم دعاه إلىٰ الكتابة إلىٰ السلطان عبد الله قطب شاه باطلاق سراح عائلة (مير جمله) ، ولما وصلت الرسالة إلىٰ (كولگنده) ثار ملكها واخذته العزّة واعتبرها إهانة له فامتنع من إطلاق سراحها ، وبلغ ذلك شاه جهان فارسل ولده الأمير (اورنگ زيب) إلىٰ حيدر آباد ، ثم التحق به فيما بعد وذلك سنة (١٠٦٧ هـ /١٦٥٦م) ، واحتل المغول حيدر آباد ، وتحصن السلطان عبد الله في قلعة گولگنده ، وبقي جيشه يقاتل المغول ، لكنه خشي من فوت الفرصة وسيطرة المغول نهائياً على المملكة ،وقرر التنازل للشروط التي وضعها المغول ؛ وهي :

١ ـإطلاق سراح امرأة الوزير السابق (مير جمله) وولده .

٢ ـ يدفع السلطان عبد الله الخراج ويحسب من أول يوم سلطنته ، ولاحق ايامه .

٣ ـ يدفع للمغول دفعة مالية فورية قدرها كرور واحد (عشرة ملايين روبية) .

٤ ـ يزوج ابنته إلىٰ الشاه زاده محمد سلطان بن اورنگزيب .

وهذا تنازل مذل جدا . . وهل يكون حكم القوي علىٰ الضعيف إلا كذلك .

---

(١) كان (كوه نور) أو (جبل الجواهر) من مفاخر مملكة القطب شاهية ومورد زهوها ، وكان مقابلاً لنهر كرشنه (درياي كرشنا) .

احتله المغول بعد القضاء علىٰ القطب شاهيين ، ولما جاء نادر شاه إلىٰ دهلي ، أخذ جميع الجواهر والاحجار الثمينة المستخرجة من هذا الجبل ، وفي سنة ١٨٥٩ أستولىٰ عليها شاه شجاع بيشاوري ، ثم اصبحت من نصيب (رانجيت سنك) الزعيم السيكي الشهير في عصره ، وكان في البنجاب ولكنه اهداها إلىٰ الانجليز معبراً بذلك عن وفائه لهم ، ومن هذه الجواهر الآن قطعة الماس التي تزن ٣٦٠ قيراطاً وتزين تاج ملكة بريطانيا .

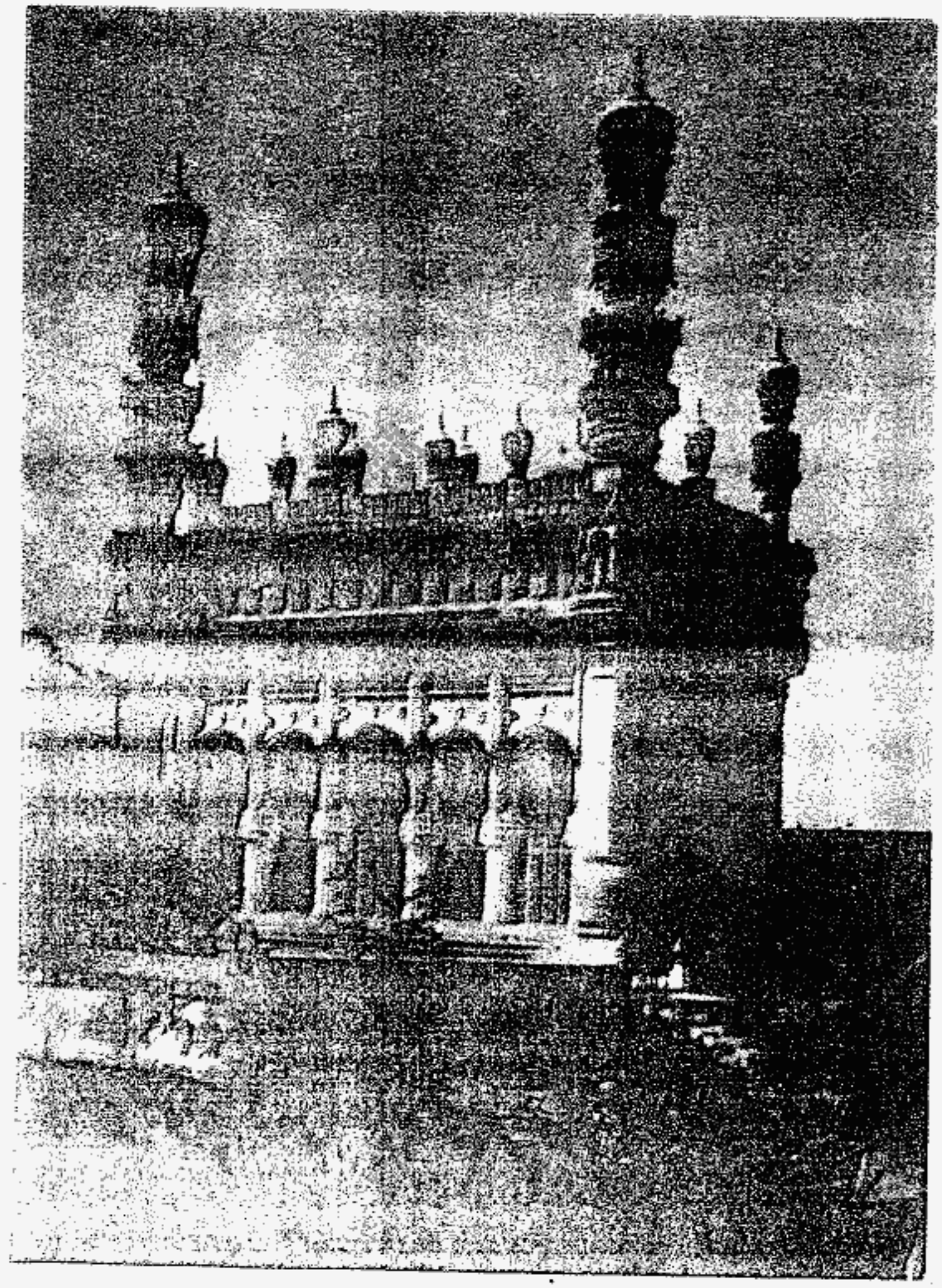

TOLI MASJID — HYDERABAD

تولي مسجد ـ بناه السلطان عبد الله قطب شاه

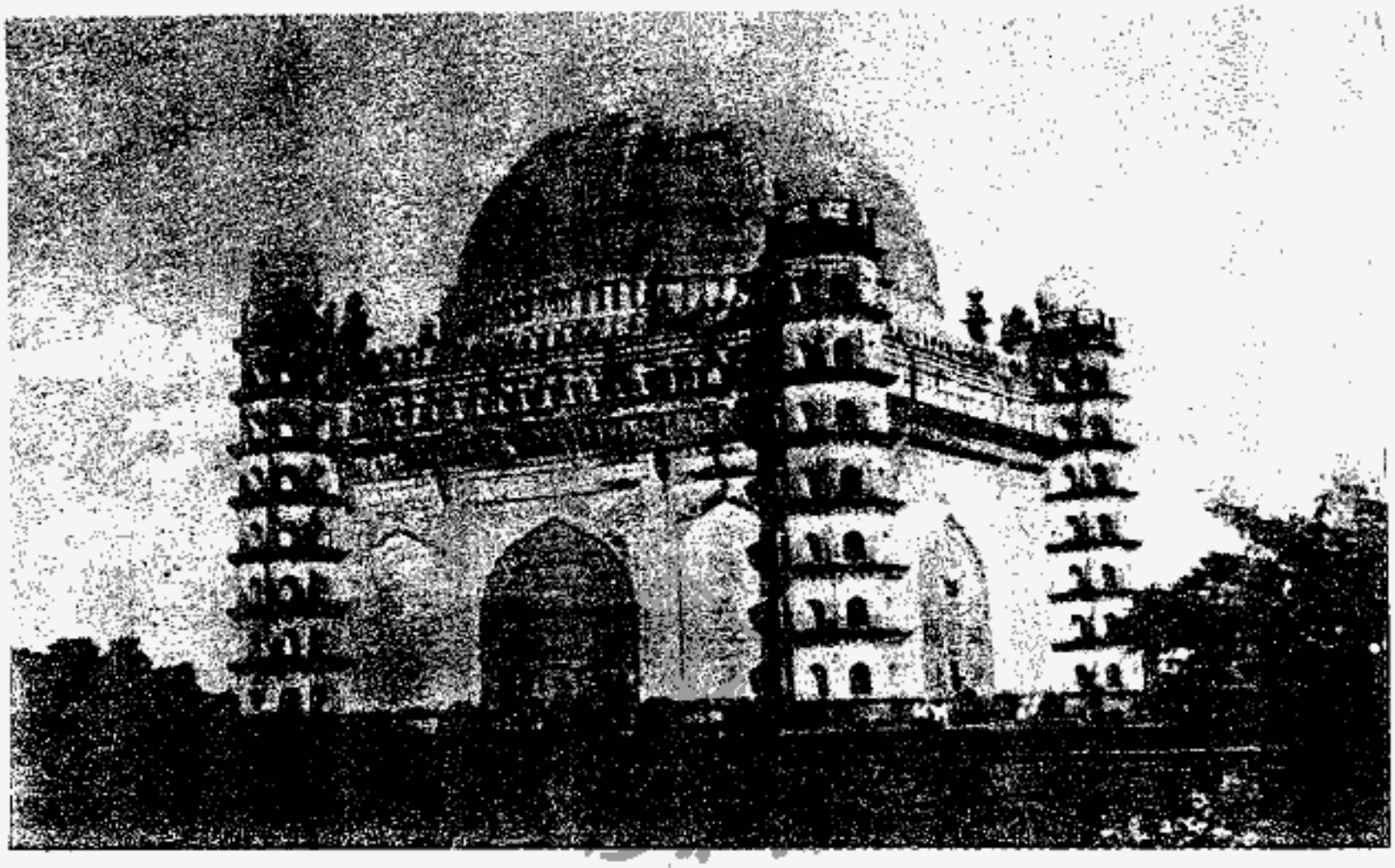

GOL-GUMBAZ, BIJAPUR

من الآثار الشيعية في بيجابور ـ الدكن

أما أهم ما يتميز به عهد هذا السلطان هو أن بلاطه كان يزدان بجمهرة من الأدباء والمفكرين والفنانين من بلاد مختلفة ؛ مما يعكس اهتمامه بالعلم والفن إلىٰ أبعد الحدود ، وكان للشعراء في أيامه سوق رائجة فاشتهروا في البلاد ؛ وكان شعراء الدكن الأوائل من الإمامية ، ومن اقدم ما بقي لنا من منظومات هؤلاء الشعراء الدكنيين : « قصة سيف الملوك » ، وترجمة للنسخة الفارسية المختصرة من « طوطينامه » أي حكايات الببغاء التي وضعها محمد قادري ، وقد أنشأ هاتين المنظومتين غوّاثي ، وكان شاعراً ببلاط السلطان عبد الله قطب شاه وتأريخ المنظومة الأولىٰ هو (١٠٢٧ هـ /١٦١٨ م) ، وتأريخ الثانية (١٠٤٩ هـ /١٦٣٩ م) ، وفي عهد هذا السلطان ألّف ابن نشاطي سنة (١٠٦٦ هـ /١٦٥٥ م) حكاية بعنوان (پهلبن) نقلها من قصة (بساتين) الفارسية ، ويظهر أن الأدب الدكني عموماً ، كان يشهد نهضة في عهد هذا السلطان وقد امتدت تلك النهضة إلىٰ الممالك المجاورة ، ويبدو أن هناك نوعاً من التنافس في المجالات الأدبية ، فقد كان شعراء المملكة العادل شاهية الشيعية المجاورة ينظمون الدواوين في مدح مليكهم علي عادل شاه الثاني (١٠٧١ هـ /١٦٦٠ م) ومنهم نصرتي شاعر بلاط بيجابور ، الذي ألّف ديوان (علي نامه) في مدح مليكه المذكور ، ولنفس الشاعر ديوان (كلشن عشق) كتبه سنة

١٠٦٨ هـ وهو عبارة عن حكاية الأمير منوهر ومدهمالتي .

وكان للسلطان عبد الله خزانة كتب عامرة بالمخطوطات النفيسة ، ويظهر أن هناك أمكنة مخصصة داخل (كولكَنده) للادباء والمؤلفين والنساخ ، وفي مكتبة مسجد أعظم في تم نسخة من كتاب تقاسم العلل لمحمد بن زكريا الرازي برقم ٥٠٠ ورد بآخره أن ناسخه «محمد صفي بن عنايت الله الحكيم في القلعة المباركة كولكنده المشهورة بـ محمد نكَر من قلاع البلدة الطيبة حيدر آباد »[1] .

ولا بد من الإشارة هنا إلىٰ أن الكثير من الأدباء وردوا علىٰ المملكة من خارج الهند وخاصة من إيران والعراق ولبنان والحجاز واليمن ، ومنهم جماعة من فضلاء فارس وقد الّفو عدة كتب منها (البرهان القاطع) باللغة الفارسية ، واستدعىٰ السلطان نفسه ، الأمير أحمد نظام الدين بن محمد معصوم المدني من المدينة المنورة فجاء إليه وزوجه ابنته واسند إليه تدبير أمور المملكة .

وفي ٦ شعبان ١٠٦٦ هـ التحق به ابنه السيد علي صدر الدين صاحب (سلافة العضر) مع جميع عائلته ، ورافقته في رحلته هذه بعثة شرف أرسلها أبوه برئاسة وزير من وزراء حيدر آباد ، وقضىٰ السيد علي خان في حيدر آباد ثماني عشر سنة تولىٰ خلالها مناصب هامة في الدولة .

وفي ٣ محرم الحرام (١٠٨٣ هـ /١٦٧٢ م) توفي السلطان عبد الله قطب شاه عن عمر يناهز ٦٠ سنة وقد امتد حكمه قرابة نصف قرن ، ودفن في موضع « لنكَر فيض » ، وبعد موت السلطان ، نزع السيد أحمد نظام الدين ، صهر السلطان ، ووالد السيد علي خان إلىٰ السلطنة في نفس الوقت الذي نزع إليها وطمع فيها صهر السلطان الآخر وهو : أبو الحسن تانا شاه ، وانتهت الخصومة بسيطرة أبو الحسن تانا شاه ، وجلوسه علىٰ عرش المملكة في ٥ محرم (١٠٨٣ هـ /١٦٧٢ م) بعد يومين من النزاع المرير ففرض الإقامة الجبرية علىٰ السيد أحمد نظام الدين ، وولده السيد علي خان ، ثم توفي أبوه وهو محجوز سنة ١٠٨٦ هـ وبقي هو يكابد الهوان ، وله في ذلك قصائد نبوية عامرة يستغيث فيها ويطلب خلاصه من الأسر ، ومن ذلك قوله :

---

(١) محمد سعيد الطريحي : المخطوطات العربية في إيران ، المجلد الثاني .

أضحىٰ أسيراً بأرض الهند مغترباً لم يرجُ مخلصَه إلاَّ إذا شيتا
فنجني يا فدتك النفسُ من بلدٍ أضحت لِقاحُ العُلىٰ فيه مقاليتا

واستطاع السيد علي خان الهرب إلىٰ السلطان محمد اورنگ زيب في (برهان بور) فجدّوا في طلبه ، ولكنهم لم يلحقوا به ، فرحب به السلطان ، وقلده قيادة فرقة من الجيش ، وهو الذي لقبه بالسيد علي خان ، واصطحبه إلىٰ (اورنگ آباد) وعيّنه في عدة مناصب آخرها رئاسة الديوان في (برهان بور) وبقي فيها حتىٰ سنة ١١١٤ هـ ، وهي السنة التي هجر فيها الهند إلىٰ غير رجعة ، وطوف بعد ذلك في العراق وبلاد فارس حتىٰ وافاه الأجل في شيراز ـ علىٰ الارجح ـ سنة ١١٢٠ . وللسيد علي خان رحلة إلىٰ الهند سماها « سلوة الغريب واسوة الأديب » ضمنها سفره إلىٰ الهند وما لاقاه فيها مع بحث بعض المواضيع الأدبية والفوائد اللغوية وانتهىٰ من تأليفها سنة ١٠٧٥ هـ ، رأيت عدة نسخ في مكتبات فارس ، ومنها نسخة في مكتبة مشهد خراسان علىٰ صاحبه التحية والسلام .

(٧)

السلطان أبو الحسن تانا شاه ـ السابع

مرّ عليك فيما سبق كيفية توليه السلطنة ، وكان أول أعماله تعيين (مير ظفر) وزيراً له ثم عزله بعد وقت قصير ، وعيّن بدله (مادفا پنتلو) وزيراً و(أكنا) كاتباً له ، وقام باصلاحات واسعة واعمال عمرانية كثيرة ومن ذلك :

١ ـ بناء قصر چار محل ، علىٰ ضفاف نهر موسىٰ .

٢ ـ مسجد ميان مشك الواقع عند الجسر القديم .

٣ ـ كوشه محل ويعرف باسم باره دري .

٤ ـ حوض گوشه محل ، ويسمىٰ الآن (بهوئى كوره) شيده سنة (١٠٩٦ هـ /١٦٨٤ م) وفقاً للتأريخ الشعري الذي يقول : « آب اين باعثِ حيات همه »أي « هذا الماء باعث الحياة للجميع » ، وهذا الحوض عبارة عن بحيرة صغيرة لتخزين المياه قياسها ط ١٤ × ع ١٣ مع عمق ٣ م، ويجلب الماء له بواسطة أنابيب من الفخار صنعت خصيصاً لهذا الغرض .

٥ ـ حوض (طوم) وهو خزان ضخم لتخزين المياه والاستفادة منها للاغراض الزراعية .

٦ ـ قصر موتى محل في قلعة كولكنده ، ومن المرافق التي اشتمل عليها هذا القصر : «نو محل، خلوت خانه ، ديوان خانه ، خواص پورة » وغيرها وقد دُعي القصر فيما بعد (دولت خانه) وتم سنة ١٠٩٦هـ .

٧ ـ تأمين الإسالة المائية لقلعة كولكنده بواسطة الأنابيب الفخارية التي كانت تنقل الماء من مسافة خمسة أميال من أحد الجداول المائية القريبة .

وبلغت البلاد في ايامه أوج اتساعها فقد كانت تشتمل علىٰ بلاد كرناتك ، وكانت سركاراتها :

١ ـ محمد نكر ٢ ـ ميدك ٣ ـ كولاس ٤ ـ ملنگور ٥ ـ ايلگندل ٦ ـ ورنگل ٧ ـ كهمم مت ٨ ـ ديور كنده ٩ ـ بالكنده ١٠ ـ مصطفىٰ نگر ١١ ـ بهونگير ١٢ ـ اكن كرا ١٣ ـ كوئل كنده ١٤ ـ كهن پوره ١٥ ـ مرتضىٰ نگر ١٦ ـ مچهلي پٹ ١٧ ـ نظام پٹن ١٨ ـ راح مندري ١٩ ـ ويلور ٢٠ ـ سريكا كول ٢١ ـ معدن الألماس ٢٢ ـ آركاٹ .

وكانت مجابيها في عهد تانا شاه (٨٧٩٥١٩٦) هن و (الهن) كما تقدم يعادل ثلاث روبيات ونصف إلاّ فلساً ، وبحسب الروبية (٢٤٧٨٥٥٢٩) روبية وسبع آنات كما في (خورشيد جاهي) .

اما الوضع السياسي فقد ساء أخيراً بعدما ازداد طمع المغول بضم هذه المملكة إلىٰ سلطتهم المباشرة، فكثرت تحرشاتهم وغاراتهم ؛ مما أضعف من شأن المملكة ، ويظهر أن تانا شاه كان يقابلهم بعدم الاكتراث، وبلغ به الأمر في بعض الأيام أن تآمر ضدهم مع عدو المغول التقليدي في تلك الأنحاء وهو (سيواجي) رئيس طائفة (الماراتها) المتوفىٰ سنة (١٠٩٠ هـ /١٦٧٩ م) ، ولهذا وغيره من الأسباب اشتد حقد المغول ، وآلوا علىٰ انفسهم احتلال البلاد ، والقضاء علىٰ سلطنتها ، وقدمت جيوشهم صوب حيدر آباد ، يقدمها شاه زاده عالم شاه ، والتحق به فيما بعد السلطان اورنك زيب نفسه ، ولم يتوانَ السلطان القطب شاهي في الدفاع عن مملكته ، ولم ترهبه قوة المغول ، ولا كثرتهم فاندفع يحارب بنفسه علىٰ رأس جيشه ، وجرت أولىٰ الوقائع في موضع (سيڑا وملكهيڑا) وجرت غيرها من الفتكات التي أرهقت جيش حيدر آباد ، وطرح المغول شروطاً لوقف القتال ، رفضها السلطان القطب شاهي أول الأمر ، غير أن الأمر الواقع فرض عليه قبولها ، وخلاصتها :

١ ـ أن يدفع السلطان القطب شاهي كرور واحد و٢٠ ألف روبية (عشرة ملايين وعشرون ألف روبية) .

٢ ـ أن يعزل وزيره (مادنا) وكاتبه (اكنا) وان يُؤخذ رأي (اورنك زيب) عند تعيين غيرهم .

وبقبوله ذلك رجع (تانا شاه) إلىٰ قلعة كولكَنده وتحصّن بها وأعلن العصيان ، وساد التوتر بين الدولتين كثيراً وساءت العلاقات مرة اخرىٰ ،وبثّ (اورنك زيب) الجواسيس والعيون للتحايل علىٰ (تانا شاه) .

وفي ٢٨ كانون الثاني ١٦٨٧ م/١٠٩٩ هـ حاصر المغول (كولكَنده) وطفق سلطانهم يبحث في كيفية اختراق قلعتها الحصينة، وصمد السلطان (تانا شاه) ثمانية أشهر، وكان من الممكن الصمود أكثر، لولا خيانة أحد قواده المسمىٰ (عبد الله خان) فقد عقد مع المغول صفقة سرية يفتح في مقابلها أحد أبواب القلعة التي كانت تحت حمايته ، وهي الباب الشرقية ، ودُعيت فيما بعد (فتح دروازه = باب الفتح) حيث أسفر صباح ٣٠ ايلول ١٦٨٧ عن الجيش المغولي وهو يجوب داخل القلعة ، بقيادة الشاه زاده نجل اورنگ زيب ، وصحّ المثل القائل « من مأمنه يُؤتىٰ الحذر » ، وبعث الشاه زاده علىٰ (تانا شاه) ، ولما علم السلطان القطب شاهي بما آل إليه أمره مع المغول ، دخل إلىٰ ديوانه الخاص ، وابلغ أهله بذلك ، وأمرهم بالضبر والصلاة ، وترخّص منهم وقصد عرشه ، فأُخذ من قاعة العرش ، واركبه الجند المغولي علىٰ فرسه ، وجاءوا به إلىٰ باب القلعة حيث كان الشاه زاده محمد بانتظاره ، فاستقبله وأجلّه واحترمه، وخلع (تانا شاه) قلادة من الدرر الثمينة ـ كان يتقلدها ويعتز بها كثيراً ـ واعطاها لخصمه ، معبراً بذلك عن شكره لحسن تصرّف الشاه زاده ، ثم فرض الشاه زاده الإقامة الجبرية علىٰ (تانا شاه) في معسكره ، وبعد أيام أُرسل هو وزوجته إلىٰ (چيني محل) في قلعة دولت آباد بحماية (جانبدار خان بهادر) ، وهناك قضىٰ السلطان أيامه الأخيرة .

وتوجد روايةأخرى بشأن نهاية آخر السلاطين القطب شاهية، تقول هذه الرواية :

حين بلغ مسامع السلطان تانا شاه نبأ سقوط قلعة كولكَنده انتحر مع نسائه غرقاً في بركة الماء بقصره .

واحسب هذه الرواية من نسج خيال العامة المولع بوضع دراما نهاية الأبطال والملوك ، ثم إني استبعد هذا الخبر لتناقضه مع الثوابت التأريخية التي تؤكد بقاء الملك تانا شاه عدة سنين بعد هذه الوقعة ؛ حتىٰ وفاته سنة (١٠٩٨ هـ/١٦٨٧ م) ودفن بجوار (السيد راجو فتال) بطرف مقابر القطب شاهية ، وبوفاته اسدل الستار علىٰ مملكة آل قطب شاه ، وخضعت مقاماتهم للمغول الذين وطّدوا حكمهم فيما بعد ، وعيّنوا نائباً

(صوبيدار)يحكم البلاد نيابة عنهم ، وخلفه أبو المنصور خان ، وفي عهد الملك المغولي فرّخ شير شاه ، استولى نظام الدين آصف شاه على ضواحي حيدر آباد الدكن ، ثم استطاع ان يسيطر عليها تماماً ، وأسس السلالة النظامية المعروفة التي بقيت حتى استقلال الهند سنة ١٩٤٨ ، وكان آخرهم (مير عثمان علي خان بهادر) نظام حيدر آباد الذي انتهت بوفاته السلطنة النظامية .

وفي عام ١٩٥٦ اصبحت حيدر آباد عاصمة لولاية آندرا بردش التي تعتبر من الولايات الهندية الهامة في الوقت الحاضر .

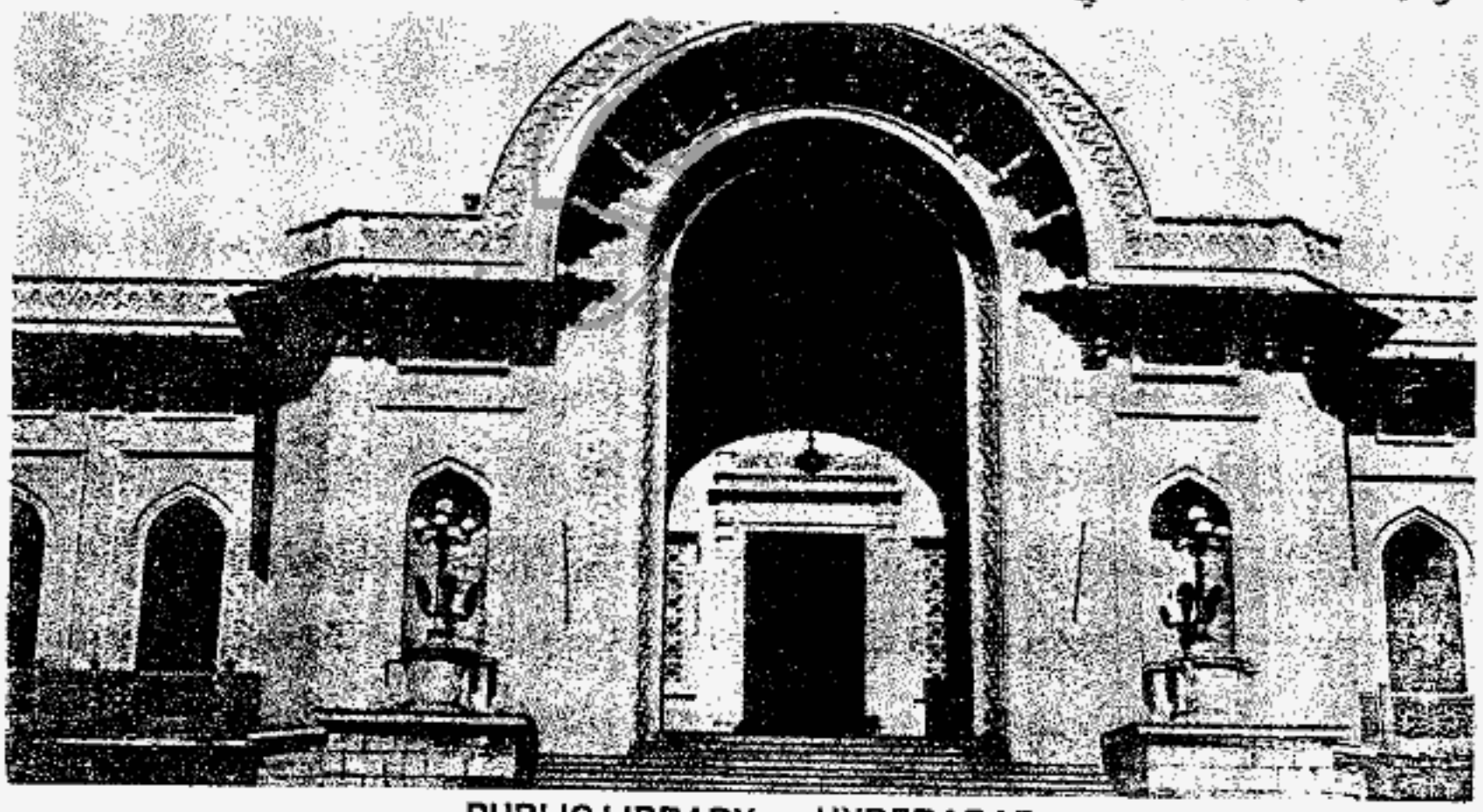

PUBLIC LIBRARY — HYDERABAD

دار الكتب الآصفية ـ حيدر آباد ، تحتوي على مئآت الكتب العربية المطبوعة والمخطوطة

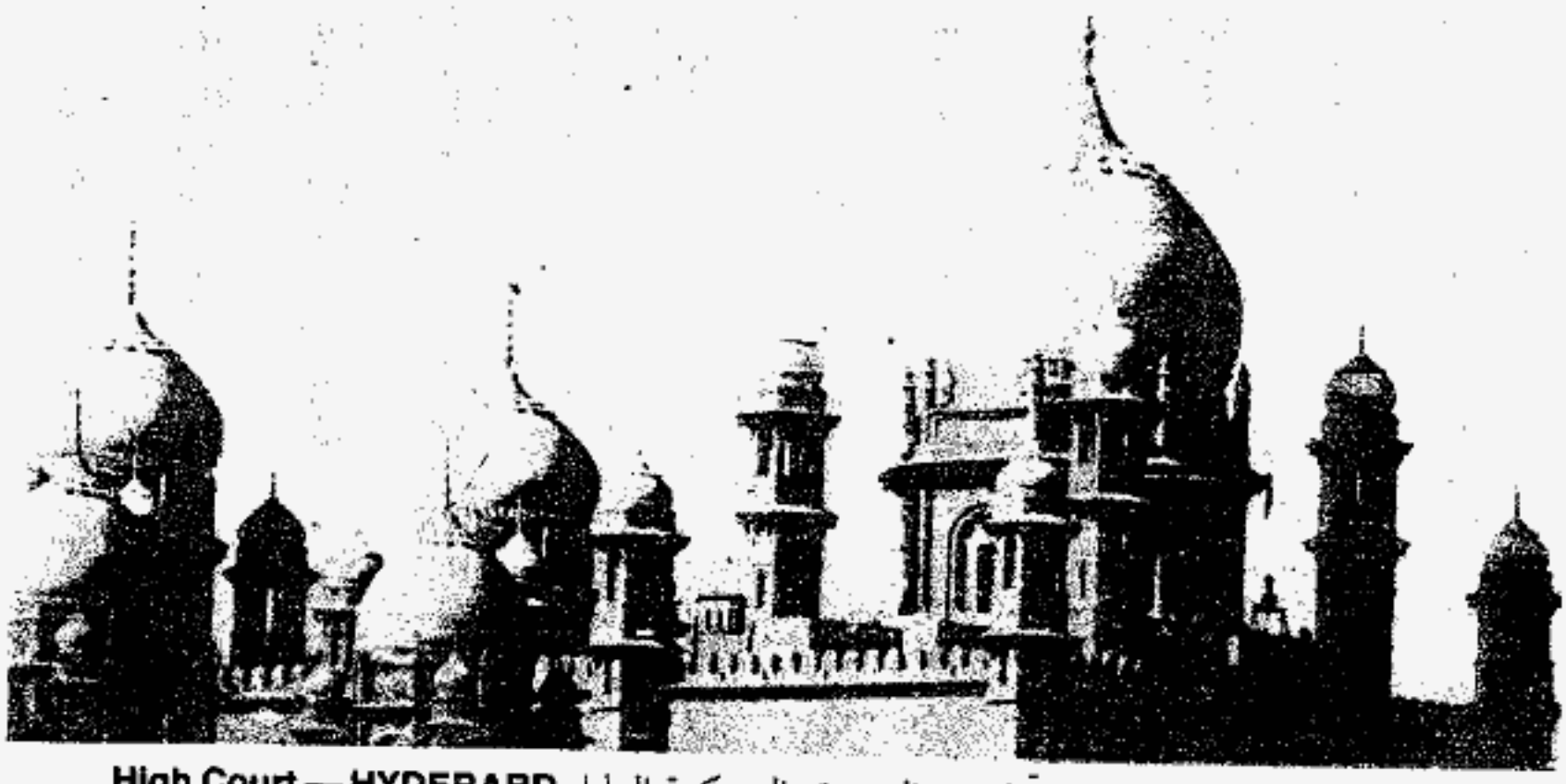

High Court — HYDERABD عمارة إسلامية شامخة في حيدر آباد هي اليوم مقر المحكمة العليا

قلعة كولكَنده

كـولكَنده : بضم الكـاف الفارسيـة وسكون الـلام وضم الكاف وسكـون النون وفتـح الدال الهندية ، حصن حصين يقع علىٰ بعد عدة كيلومترات من مدينة حيدر آبـاد الدكن في منطقة جبلية تدعىٰ (ورنكل) ضمن مقاطعة تعرف بـاسم « كاكينـه راجا » وتعتبـر قلعتها من أهم القـلاع التأريخيـة في شبه القـارة الهنديـة ، وقد شهـد مسرحهـا الكثيـر من الأحـداث والوقائع التي كانت تهزّ الهند وتؤثر في مقدراته السياسية ، وتوالى علىٰ عرشها ملوك اقـوياء ازدهرت في ظلهم العلوم والمعارف والفنون ، ونعم رعيّتهم في محيط لم يشهد له مثيل من الامن والطمأنينة والعدل والسلام .

حتىٰ إذا تداولت الأيّام ، وثارت ضغائن الأحقـاد المغوليـة بهدف التـوسـع والنفـوذ ؛ قصدها (اورنكزيب) بأطمـاعه ، وبعث بجيش جـرّار لغزوهـا والقضاء عليهـا وأحال سـالف مجدها إلىٰ تراب ، فخلّف خرابها حرقة في القلب لن تهدأ ، ودمعة في العين لن ترقأ .

تأسيس (كولكنده) واصل التسمية :

بنيت القلعة بأمـر الملك الهنـدوسي (بـرتاب رودرا ديـواول)بعدمـا أشار عليـه بذلـك منجمه المسمىٰ (گولا) ، ولمـا تم بناء القلعـة سمّاهـا الملك باسم منجمـه تخليداً لـذكراه فقال (گولا كوندّا)يعني (جبل گولا) وبمرور الزمن صُحّف الاسم إلىٰ (گولگنده) وبقيت هذه التسمية إلىٰ عصرنا هذا .

ونقل سلسلة ملوك (كاكينه راجا) مـركز سلطنتهم إلىٰ هـذه القلعة ، ولمـا ضعفـت سيطرتهم في أيام الملك المسمىٰ (كرشنارو درايـو) سلمت القلعة إلىٰ ملك آخـر أقوىٰ منـه هو الملك بادشاه محمد شاه الأول المسمىٰ (محمد شاه البهمني) من ملوك السلالة البهمنية الشهيرة في الدكن ، فأسمىٰ القلعة باسم (محمد نگـر) وما زال هـذا الاسم يدل علىٰ أحـد المواضع قرب گولگَنـده ، ولما ضعفت الـدولة البهمنيـة في عهد (محمـود شاه البهمني) ، وآل الأمر إلىٰ تفكك عـرىٰ السلطنة البهمنيـة وانقسمت البلاد إلىٰ ممـالك مستقلة ـ كمـا مرّ ذكره ـ كانت القلعة من نصيب أسرة آل قـطب شاه وبهـذا اصبحت گولگَنـده ضمن المملكة القطب شاهيّة ، واهتم ملوك هذه السلسلة بأمر القلعة اهتماماً كبيراً وصرفوا في سبيلها مبالغ طائلة وأكملوا تشييدها واضافوا لها الكثير من المباني والعمارات واظهروا ذوقاً فنياً رفيعـاً في تعمير الذي أكمل خلال (٦١) عاماً من حكم ملوكها الثلاثة الأوائل .

منشآت القلعة

تبلغ مساحة القلعة خمسة أميال ، ولها تسع أبواب و٤٨ برجاً متيناً مشيداً من الأحجار الجبلية ، وعلى كل برج مدفع قديم ، وحول السور خندق عميق ، وفي كل مرفق من هذه المرافق مجموعة من الجنود الممتازين المدرّبين ، هذا في الداخل ، أما في خارج القلعة فهناك فرقة خاصة من الخيالة تجوب خلف السور وعند الخندق وفي الشوارع والازقة المؤدية إلىٰ القلعة ، وذلك دأبهم في الليل والنهار ويقدّم رؤوسائهم التقارير المنتظمة للملك حول الشؤون الأمنية داخل القلعة وخارجها .

أبواب القلعة :

١ ـ باب الفتح (فتح دروازه) : بوابتان تقعان في الجانب الشرقي للقلعة ، وعن طريقها دخل (اورنگزيب والجيش المغولي) إلىٰ القلعة بعد خيانة عبد الله خان المكلّف بحراسة هذه الباب .

٢ ـ باب الجواهر (موتي دروازه) : نسبة إلىٰ خزانة (موتي محل) التي تقع قربها ، وكانت تحتوي علىٰ نفائس الجواهر الملكية .

٣ ـ الباب الجديد للقلعة (دروازه قلعه نو) ، شيدت في احدىٰ الترميمات للقلعة .

٤ ـ باب الجمّالي (جمالي دروازه) نسبة إلىٰ بي بي جمال بيگم ابنة حسن نظام شاه وزوجة إبراهيم قلي .

٥ ـ باب الرعاة (بنجاره تانڈي دروازه) أي باب رعاة أو باعة المواشي وكانت المحلة الخاصة بهم قريبة لهذه الباب ، فعرفت باسمهم وتقع في شمال القلعة .

٦ ـ باب بڑ جورو : تقع في الشمال الغربي ، و (بڑ جورو) قوم من الهنود سُميت بهم ، وقد أغلقت فيما بعد واستعملت سجناً .

٧ ـ باب مكة : (مكي دروازه) عُرفت بذلك لوقوعها علىٰ جهة القبلة .

٨ ـ باب بودي : (بودي دروازه) عُرفت بذلك لوقوعها أمام مقبرة بودي شاه وكان هذا من العلماء المعروفين في زمن تانا شاه ، وهي من الأبواب الرئيسية .

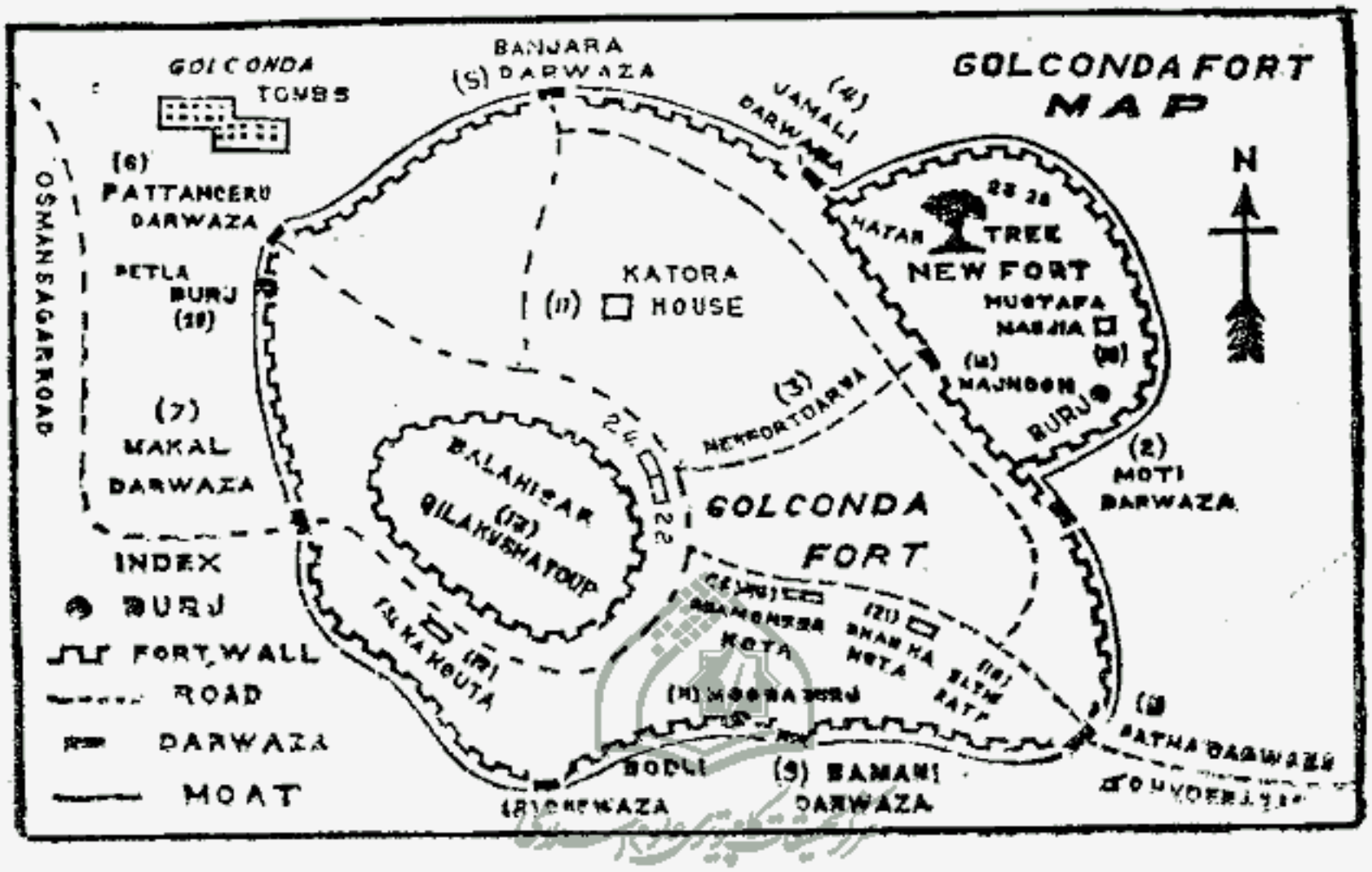

قلعة كولكَنده (مخطط عام)

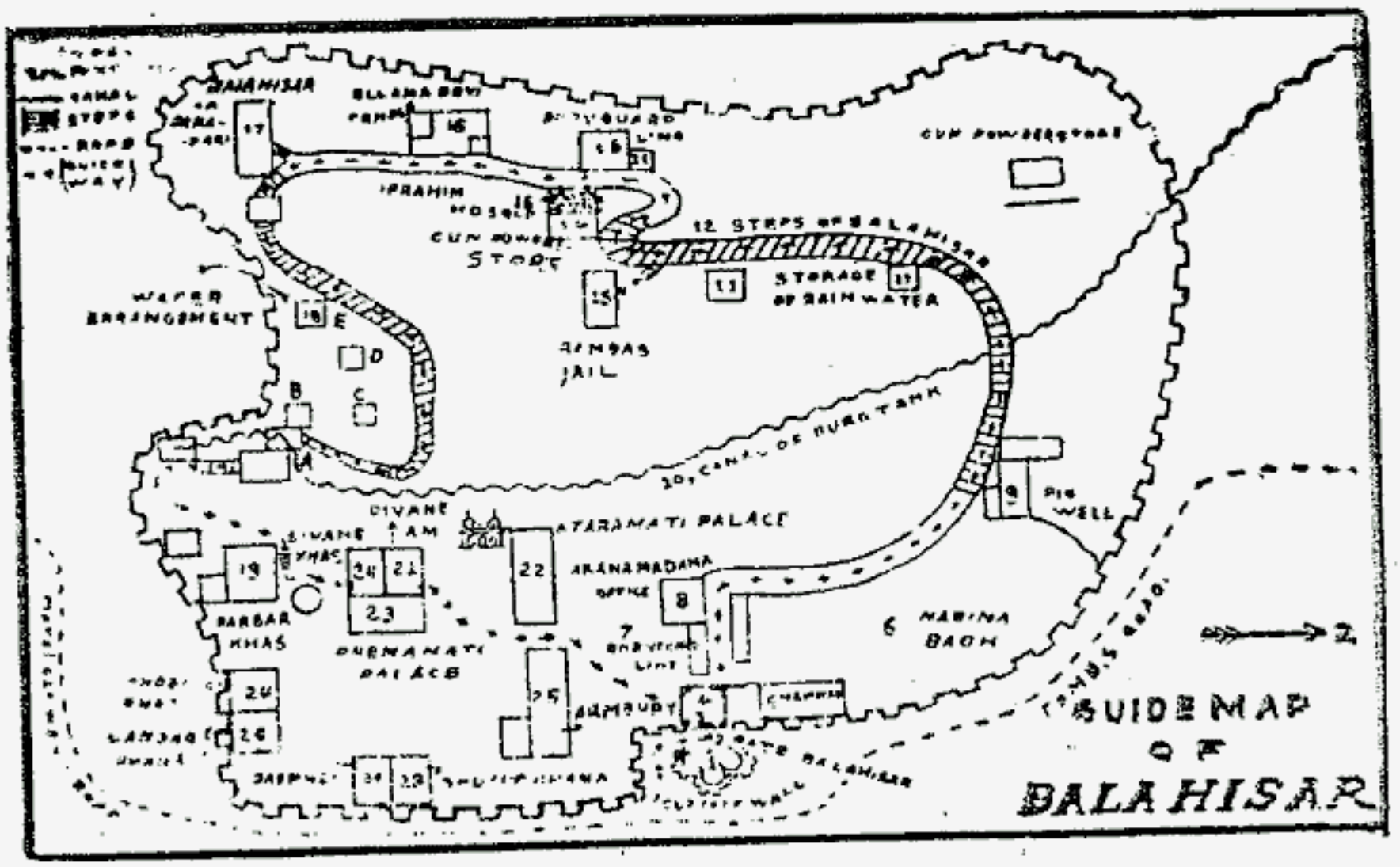

مخطط يُمثل الأسوار المنيعة في قلعة كولكَنده

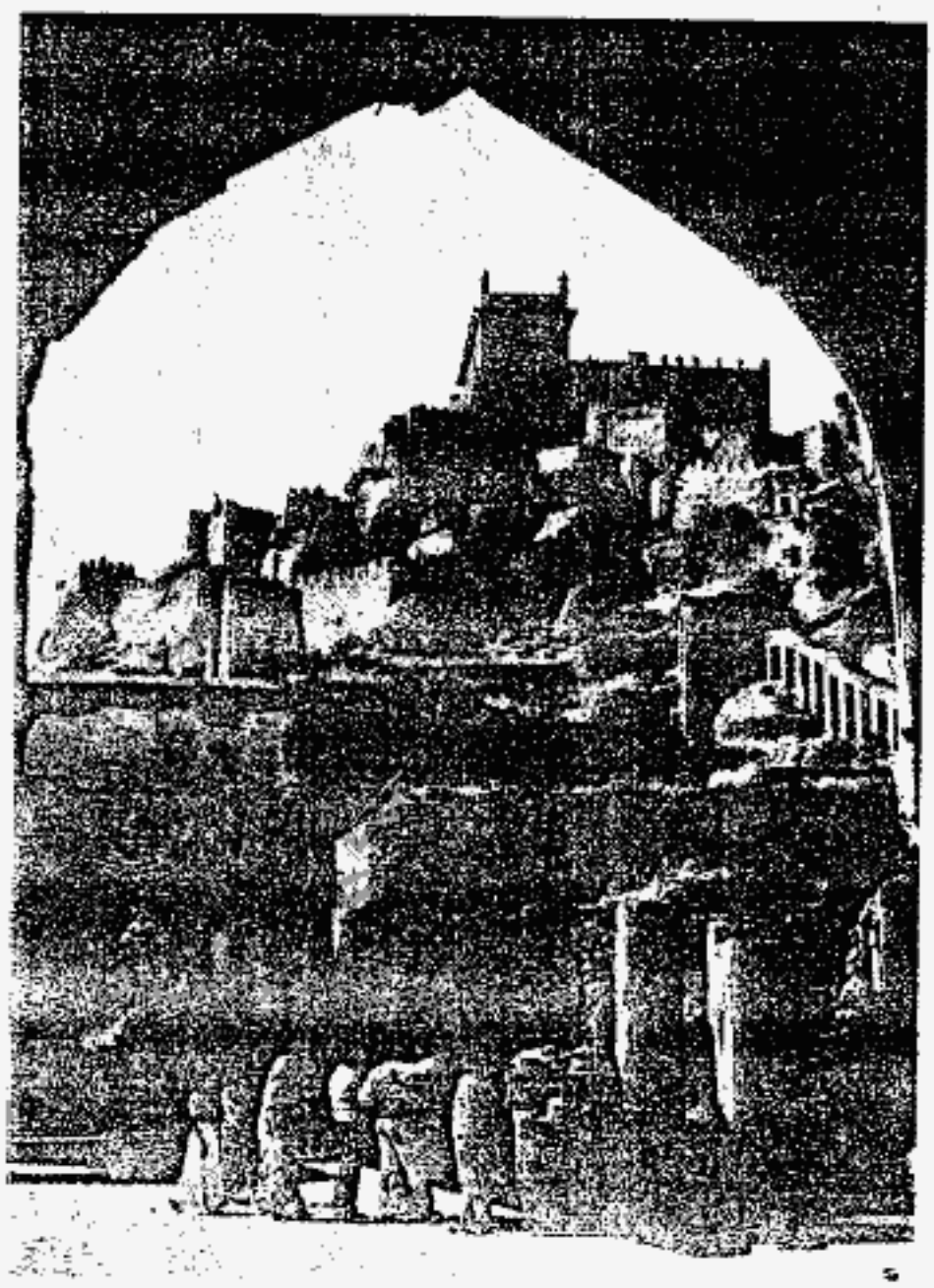

منظر من أحد الأبواب ـ قلعة كولگنده .

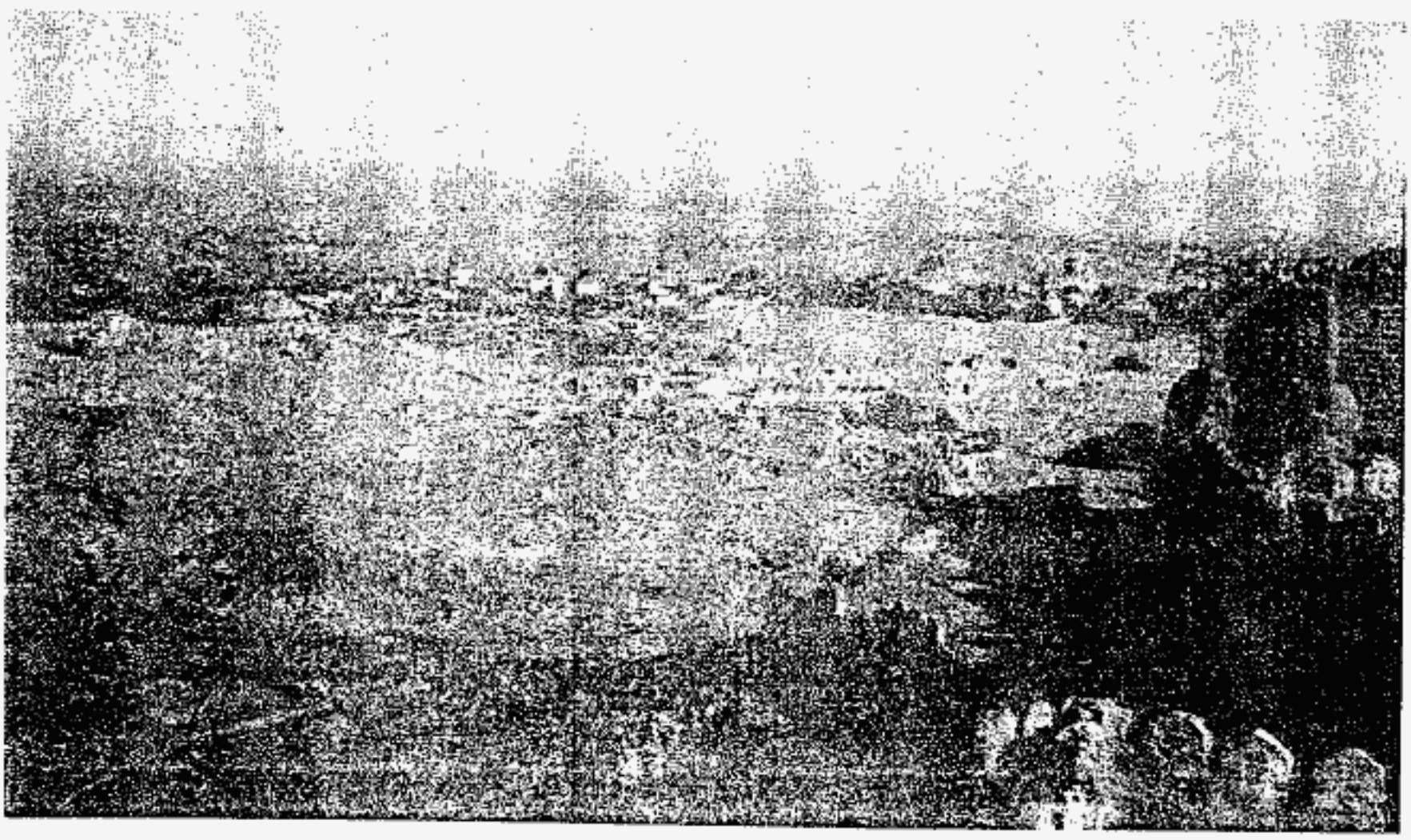

منظر من أعلىٰ القلعة باتجاه المقابر الملكية القطب شاهية حيث تلوح قبابها من بعيد .

٩ ـ بـاب البهمني : (بَهمني دروازه) من الأبواب القديمة للقلعة ، سُميت بهذا الاسم نسبة إلىٰ محمـد شاه الأول البهمني بعـد دخولـه إلىٰ القلعة بجيشـه ، وتوقيعـه الصلح مـع ملوك (ورنگل) ، واستعملها الملوك البهمنيون فيما بعـد ، وجددت في أيـام المملكة القطب شاهية .

كنّوره حوض

ويعني ذلك (حوض الكأس) وهو بحيرة اصطناعية صغيرة قرب السور الشمالي ، كان الملوك يسبحون بها أو يتنزهون فيها بواسطة الزوارق الصغيرة .

درخت هتيان

وهي (شجرة هتيان) ، من الأشجار القديمة المعمّرة شاهقة الـطول ، واسعة العـرض تمتـد عروقهـا كالاحجـار الصلبة تحت وفوق سطح الأرض ، وهي مجـوّفـة الـداخـل من اسفلها ، ودائمة الخضرة ولها ثمار ووضع عليها فانوس لإضائتها ليلاً .

السور الشمالي

يقـع في أعلىٰ المرتفـع الذي تفتـرشـه القلعـة وطـولـه ميـل ونصف وفيـه الكثيـر من العمارات والمنشآت ومن ذلك :

(قطب شاهي دربار عام) أي (الديوان الملكي العام) و(قطب شاهي دربار خاص) أي (الديوان الملكي الخاص) . ومن الأمور الفنيـة الجديـرة بالـذكر انني رأيت عنـد الباب التي تقع في غرب (كنّوره حوض) السابق ذكره ، أن من يصفّق بيـده يُسمع صـوت التصفيق في الديوان العام والخاص مع أن هناك أكثر من كيلومتر بينهمـا ، وهذا أشبـه شيء بما نسميـه اليوم بجهاز اللاسلكي ، فبهذه الـطريقة كـان رئيس الحرس أو أولي الأمـر الذين عنـد باب القلعـة يستلمون الإيعـازات والأوامر الملكيـة مباشـرة من الملك وهو جـالس في ديـوانـه ؛ ورأيت مثل ذلك في مكان آخر من القلعة فاتني تسجيل موضعه .

بندي خانه رام داس

وهو موضـع سجن القلعة ، وإنمـا سُمي باسم (گُـوبْتَا رام داس) لأن الشخص الـذي يحمل هذا الاسم كـان مسجونـاً فيه ، وكـان هذا محـافظاً لبعض ولايـات المملكة وارتكب

مخالفة للملك بصرفه مبلغ ستمائة ألف اشرفي (وهي العملة السائدة يومذاك) من بيت المال من أجل بناء معبد في موضع (بهدرا چلم) دون إطلاع واستشارة ملك عصره أبو الحسن تانا شاه فسجن اثنتي عشر عاماً ونحت خلالها عدة تماثيل لآلهة الهندوس ـ وهو في السجن ـ ومن ذلك تماثيل للآلهة : هنومان جي ، رام لكشمي جي گره ، وغيرهم ، وشاهدت غير واحد من السواح الهنادكة يقف أمام تلك التماثيل ويحييهم بتحية الهندوس ويتبرك بها ، وأرىٰ أن هذه التماثيل مُحْدَثة ولا أساس إلىٰ أن (گوبتا رام داس) قد نحتها ، وقد وضعها عوّام الهنادكة للتدليل ـ عبثاً ـ علىٰ هندوكية القلعة ، وهناك مواضع أخرىٰ من القلعة نفسها اتخذوها معابد لهم أو كما يسمونه (مندر) وذلك للغرض نفسه .

ومن الأمكنة الجديرة بالذكر أيضاً عند السور الشمالي :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ ـ خزانه آب (خزان الماء) .

٢ ـ جلوه خانه (محل الوضوء) .

٣ ـ حمام گرم (الحمام الحار) .

٤ ـ باغ نگينه (حديقة نگينه) ونگينه اسم لأحد الاحجار الكريمة .

٥ ـ چهن بالائي سقف حوض (حديقة الورد المعتلية لسقف الحوض) .

٦ ـ اسلحة خانه (بيت الأسلحة ـ مشجب السلاح) .

٧ ـ شتر خانه (الاسطبل) .

٨ ـ لنگر خانه (المطبخ) .

٩ ـ دهوبي گهات (مغسل الألبسة) .

١٠ ـ فوجي بيركس (من المنشآت العسكرية) وفوجي من (فوج) العربية .

١١ ـ واٹر فال (دوائر الوزراء) وقريب منها عند السور طريق إلىٰ اليمين يُؤدي إلىٰ الديوان العام ، وطريق آخر علىٰ اليسار يؤدي إلىٰ الديوان الخاص .

١٢ ـ ديوار پرده (الحائط الساتر) ويجلس عنده العسكريون فوق باب السور لمراقبة الوضع الأمني خارج القلعة ، وهو حاجز اولي للقلعة .

١٣ ـ بالاحصار (السور العالي) : يقف العسكريون عند باب السور العالي فإذا ما دخل

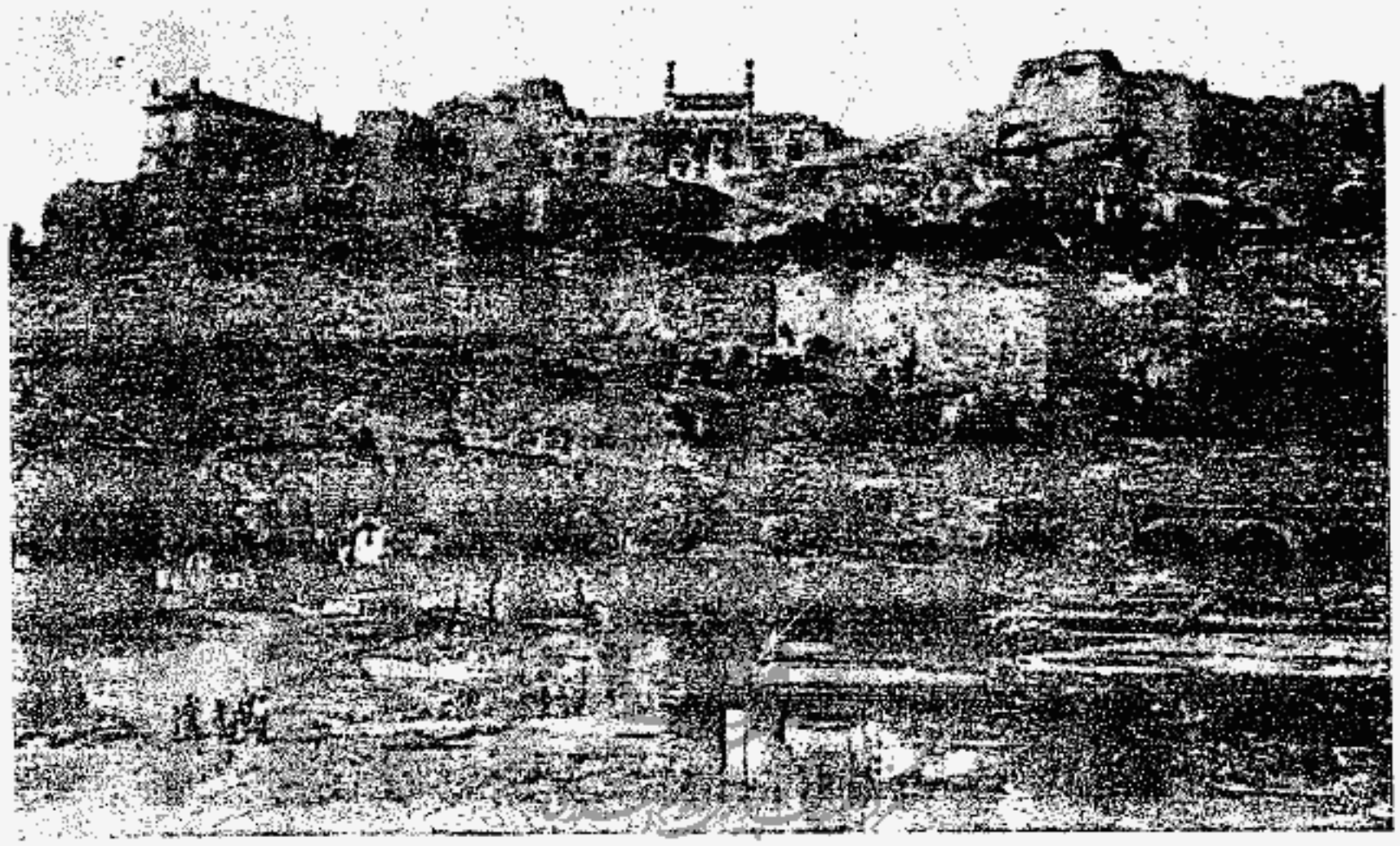

قلعة كولكندة ـ منظر من الداخل

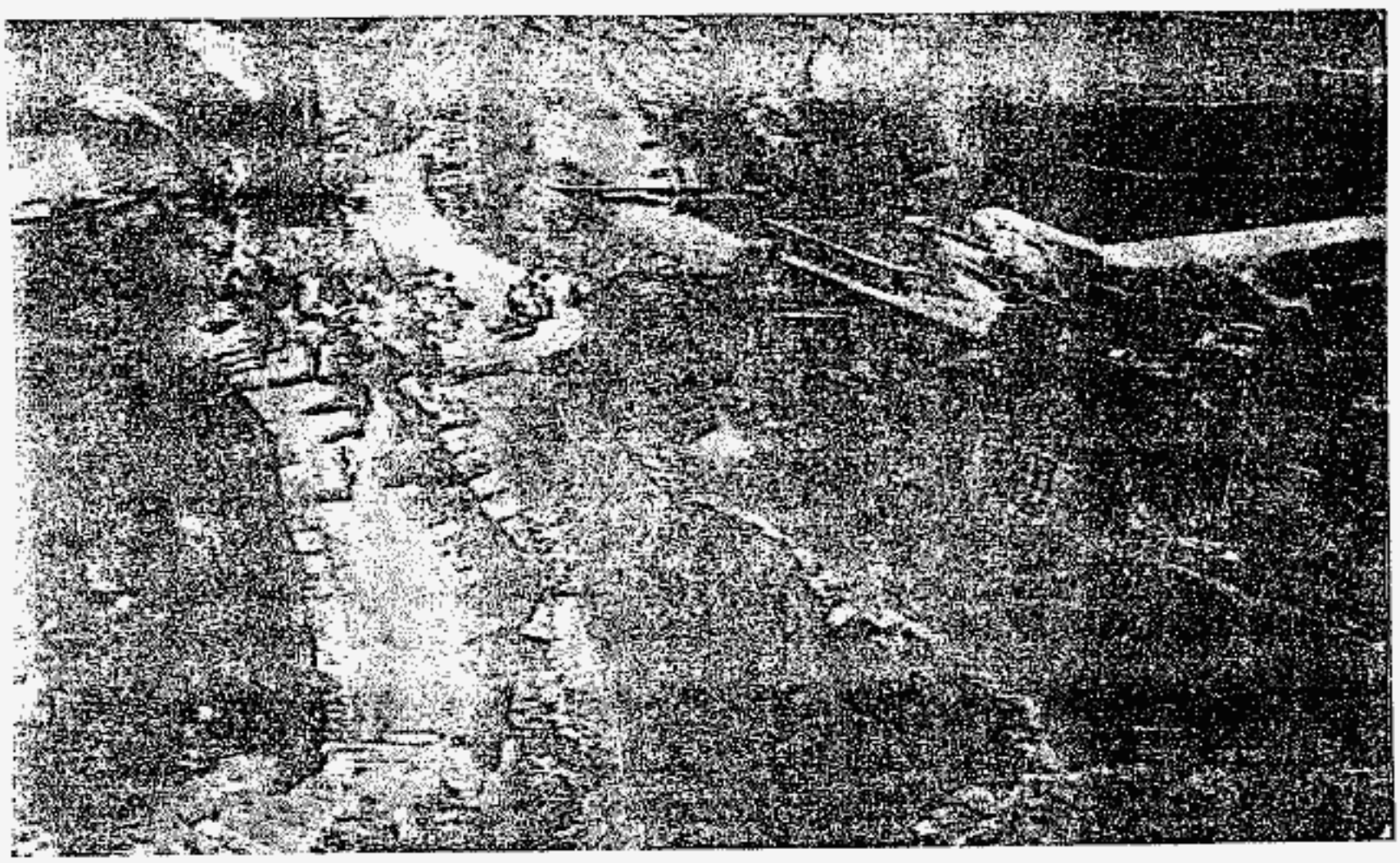

قلعة كولكندة ـ منظر لأسوارها الشامخة

العدو وتجاوز الموضع السابق (ديوار پرده) يصده الجنود من (بالاحصار) وفيه مواضع تتسع لخمسمائة جندي و (بالاحصار) من المواقع الستراتيجية الهامة في القلعة ، ويجلس قائد الجيش في ظل قبّة مصممة للاتصال اللاسلكي بالملك علىٰ الطريقة التي وصفتها سابقاً وربما كانوا يستعملون الرموز والإشارات العسكرية الخاصة ، ويضاف إلىٰ ذلك فان بامكان الجالس تحت القبة أن يسمع صوت الطلاب في مدارسهم واصوات الجنود في مراكزهم المعدّة لهم ، وذلك من اعاجيبْ التصاميم المعمارية لهذه القلعة الشامخة والحصن الفريد من نوعه ويطلق الهنود علىٰ تلك الأصداء لفظة تهراتي آواز أو Vibration .

كرم تيل ياشيش ڈالنى كا مقام

وهو محل عسكري آخر كان مخصصاً لصب الزيت الحار على رؤوس الأعداء إذا ما تطلب الأمر ذلك ، ويقع في اعمدة باب السور وهو عبارة عن ثقوب بارزة هُيئت لهذا الأمر .

١٤ ـ انبار خانه : (بيت المال) ويقع في جوانب السور عند بيت البارود .

١٥ ـ كوٹھى بارود : (بيت البارود، مخزن العتاد) وامامه حجر اسود ضخم كتب عليه باللغة الفارسية ما تعريبه « في زمن السلطان عبد الله قطب شاه وفي زمن خيرات خان صوبيدار (صوبيدار = صاحب اللواء) سنة ١٠٥٢ » وهناك عند (انبار خانه) قبّان معلق لأجل كيل البارود للفرق العسكرية .

١٦ ـ عاشور خانه : هناك أكثر من موضع يحمل هذا المصطلح في القلعة وهو مصطلح يستعمله الشيعة الهنود للمكان الذي يقيمون فيه مآتم العزاء بمناسبة ذكرىٰ عاشوراء (العاشر من محرم) من كل عام بمناسبة ذكرىٰ استشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب ، ويقابل هذا المصطلح في البلدان الأخرىٰ : الحسينية ، وكان ملوك السلالة القطب شاهية من المهتمين بإقامة هذه الشعائر الدينية والمواظبين علىٰ حضورها وتشجيعها .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

○ (الكاتب) كما يبدو من أعالي قلعة كولكنده سنة ١٩٨٠ .

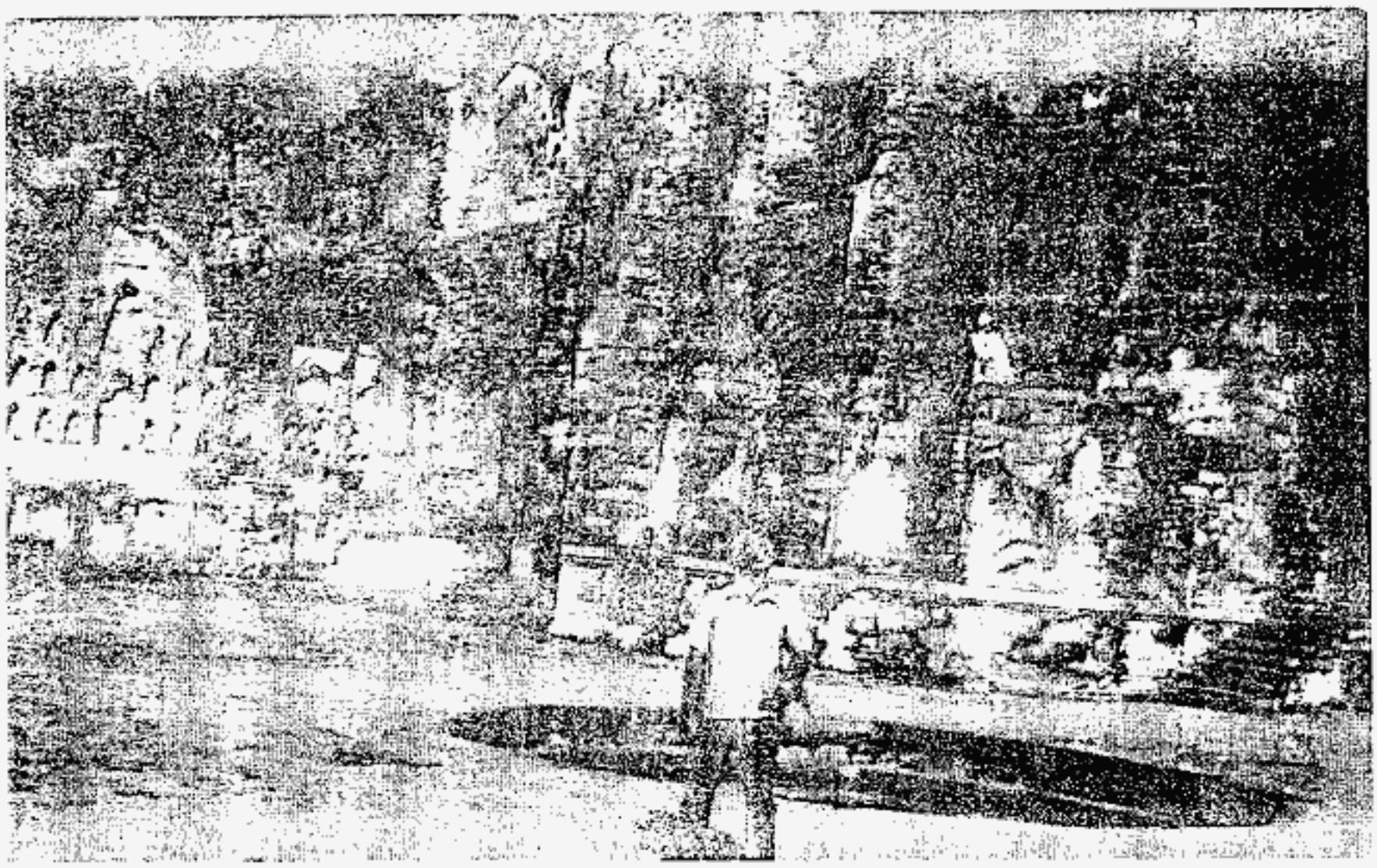

○ (الكاتب) في وسط الحسينية الأثرية بالقلعة .